نحو فهم صحيح للحقائق الإسلامية

الدرر والبدور

من حديث جبريل المشهور

أكثر من ٤٠٠ فائدة مستنبطة من هذا الحديث

تأليف
أبي عبد الله صادق بن عبد الله

دار الصفوة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أخي القارئ الكريم! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد:

إن الفهم العميق للكتاب، والسنة، هو المنهج القويم، والصراط المستقيم لمعرفة حدود ما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ، ولما كانت كلمات النبي ﷺ على اختصارها تحمل من المعاني والفوائد ما يعجز البيان عن وصفه وحصره. كيف لا وقد قال الله تعالى عنه: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ**﴾[1]، وقال هو عليه الصلاة والسلام عن كلامه: « **أوتيت جوامع الكلم**»[2]، كان من أهم المهمات شحذ الهمم لسبر غور كلماته عليه الصلاة والسلام، واستنباط الفوائد والكنوز والدرر التي تحتويها عباراته عليه الصلاة والسلام، وكان ألزم الناس بهذا هم العلماء، وطلبة العلم؛ ولهذا أردت أن أسهم معهم ـ وإن كانت بضاعتي مزجاة بينهم إلا أنني أشهد الله على حبهم ـ في بيان بعض الفوائد المستقاة من حديث عظيم، من أحاديث الصادق

---

(١) سورة النجم الآيتان (٣ ـ ٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المصدوق عليه الصلاة والسلام، والذي مدار الدين عليه، ألا وهو حديث جبريل المشهور؛ فإليك أخي القارئ الكريم! هذه الباقة من زهور الفوائد، أقدمها إليك لتكون عربونًا وبابًا يُفتح لمزيد من النظر، والتأمل في أحاديث رسول الله ﷺ؛ لاستنباط الأحكام، واستخراج الفوائد، فما من شيء أضر على العباد والبلاد من الجفاء للكتاب والسنة، وتحويل الكتاب والسنة إلى مجرد مجالس تعقد لطلب البركة فحسب دونما تدبر ولا تأمل ولا عمل، فإن هذا الخلق الذميم من صفات اليهود ـ أعاذنا الله وإياكم من اتباعهم ـ كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾[1].

والأماني جمع أمنية وهي التلاوة، فهم لا يحسنون منه سوى ذلك، ولهذا قست قلوبهم، فوقعوا في التحريف والتبديل لكلام الله جل وعلا ورسله عليهم الصلاة والسلام؛ ولكي لا نقع فيما وقعوا فيه فيحق علينا قوله عليه الصلاة والسلام «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ. شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ. حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضب لاَتَّبَعْتُمُوهُمْ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! آلْيَهُودُ وَالنَّصَارَىَ؟ قَالَ: «**فَمَنْ؟**»[2].

فلكي لا نقع في ذلك وجب علينا تدبر الكتاب والسنة، وهذا ما نحن بصدده، والله أسأل المعونة، والتيسير، فما أصبنا فمن الله وحده، وبمنّه، وكرمه، ومعونته، وما أخطأنا فمن أنفسنا، والشيطان، ونسأل الله تعالى العافية والغفران.

---

(١) سورة البقرة الآية (٧٨).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

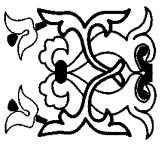

نص حديث جبريل المشهور

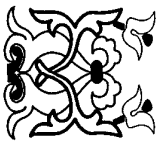

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، حدثنا وكيع، عن كهمس، عن عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر. ح وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري. وهذا حديثه: حدثنا أبي، حدثنا كهمس، عن ابن بريدة، عن يحيى بن يعمر؛ قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين، أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد. فاكتنفته أنا وصاحبي. أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي. فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم. وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قَبِل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا

يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ:**«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلًا»** قال: صدقت. قال: فعجبنا له؛ يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره، وشره»** قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: **«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»**. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل»** قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: **«أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان»**. قال ثم انطلق، فلبثت مليًّا، ثم قال لي: **«يا عمر! أتدري من السائل؟»** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»**.

❁❁❁

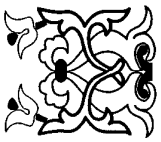

الفوائد المستنبطة من هذا الحديث العظيم والتي بلغت (٤٣٩) فائدة

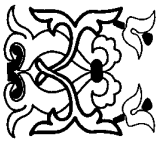

في قوله: (**كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ.**

فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم.

وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف.

قال: **فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني.**

والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر)

عدة فوائد:

١- فيه أهمية العلماء في الأمة، وأن الأمة بدون علماء كالبهائم التي لا تعي، ولا تعقل.

٢- فيه فضيلة العلم، حيث يبدد الله تعالى به ظلمات الجهل، وريبة الشبهة، ورين الذنوب، ولذة الشهوات المحرمة. فلله الحمد والفضل والمنة.

٣- فيه فضيلة القرن الأول: الصحابة الكرام البررة، حيث لم تظهر فيهم هذه البدع، وإنما ظهرت فيمن بعدهم لقوة إيمان الصحابة وصدق يقينهم وسلامة صدورهم وحسن ظنهم بالله ورسوله رضي الله عنهم وأرضاهم. كما قال النبي ﷺ:«**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام: تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»(١).

٤- فيه أن أهم ما يعنى به العبد أمر العقيدة ومعرفتها، وتصحيحها؛ ولهذا قال: (فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر).

٥- فيه أن بعض مسائل الاعتقاد والدين قد تخفى مع وجود العلماء وفشو العلم. مما يؤكد أهمية طلب العلم والجلوس إلى العلماء الراسخين؛ ليستفيد من علومهم وفهومهم؛ فإن كثيرًا من العباد يظن أنه ذو عقيدة سليمة، ولكن عند التحقيق وظهور البدع والفتن يتبين خلاف ذلك، فنسأل الله العافية والسلامة.

٦- فيه أن البدع قد تظهر مع وفور العلم والعلماء. مما يؤكد أهمية رد كل شيء يظهر جديدًا في حياة الناس إلى الكتاب والسنة؛ ليظهر ويستبين أمره كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ**

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١)

٧- فيه وجوب الفرار من الفتن، وعدم الركون إلى أصحابها، ففيهم كل بلاء وفتنة؛ ولهذا كان السلف يهجرون أصحاب البدع، ويشنعون عليهم، ويحذرون الناسَ منهم ومن بدعهم؛ ولهذا أعلن ابن عمر رضي الله عنه براءته منهم؛ ليُعلِّم غيره، ولِيُبينَ الواجب في حق أمثال هؤلاء، وأنه لا مجاملة على حساب الدين، ولا مداهنة. بل هو الصدع بالحق والنكير على أهل البدع لا كثَّرهم الله.

٨- فيه نبذ الأقوال المحدثة التي ما كان السلف يعرفونها. لا سيما في باب الاعتقاد، فإنه أولى ما يجب على العبد أن يعتني به.

٩- فيه خطورة الجهل، والتكلم في الدين بغير علم، كحال (معبد الجهني)، فهلك وأهلك.

١٠- فيه ذم الرأي في الدين المبني على خلاف الكتاب والسنة؛ إذ هذا هو الرأي المذموم، الذي حذر منه السلف.

١١- فيه الرحلة لطلب العلم والتفقه في الدين والسؤال عما أشكل.

١٢- فيه ما كان عليه التابعون من الإجلال لأصحاب النبي ﷺ.

١٣- فيه توفيق الله تعالى لطالب العلم الحريص على معرفة الحق مريدًا الله والدار الآخرة فينجيه الله من مضلات الفتن، ويقيِّض له من يدفع عنه الشبه؛ لترسخ قدمه في دين الله تعالى؛ فإن الله

(١) سورة النساء الآية (٨٣).

تعالى شكور حليم؛ ولهذا قال تعالى:﴿**وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ**﴾[1].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في تفسيره: ﴿**وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا**﴾أي: حرصًا،﴿**لَّأَسۡمَعَهُمۡ**﴾ أي: لوفّقهم.

١٤- فيه الحذر من زلة المنتسبين إلى العلم، وذلك من قوله (**يتقَفَّرُون العلم**)، وعدم الاغترار بزلاتهم، وهذا معنى قول السلف: (إنما نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال).

١٥- فيه معنى قول محمد بن سيرين: [**إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم**][2].

١٦- فيه أن الدين قد اكتمل وتم، وأن الصحابة هم أفهم الناس له، وأعلم الناس به، وبمراد الله ورسوله، لا سيما في باب الاعتقاد؛ ولهذا كان التابعون يأتونهم لتلقي العلم النافع، والعمل الصالح عنهم؛ فهم القدوة في كل خير رضي الله عنهم وأرضاهم، ونُشْهد الله تعالى على حبهم، وحب من يحبهم، ونشهده تعالى على بغض الرافضة، وبغض كل من يبغض أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم أجمعين.

١٧- فيه اتفاق الصحابة على مسائل الاعتقاد.

١٨- فيه السعي في الرد على أهل البدع، وقمعهم، ورفع شأنهم إلى أهل العلم؛ لبيان حالهم وفضح أمرهم، والتحذير من جرمهم، والتنفير من بدعتهم. لا سيما البدع المكفرة.

١٩- فيه تكفير بدعة القدرية؛ وأنهم مجوس هذه الأمة، وذلك من قول

---

(١) سورة الأنفال الآية (٢٣).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه».

ابن عمر رضي الله عنه: (**لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر**).كما قال تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ**﴾[1].

٢٠- فيه القرب من المعلم والاحتفاء به إكرامًا له، ولعلمه، وليعقل عنه خطابه، وذلك من قوله: (**فاكتنفناه**).

٢١- فيه ضرب الأمثال للطلاب، لتقريب المعاني للأذهان والأفهام، وذلك من قول ابن عمر رضي الله عنه:(**لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا**).

٢٢- فيه استعمال الأدلة للرد على المخالفين والمعارضين، وأن المَفْزَع لابد أن يكون إلى الكتاب والسنة، والرد إليهما، وهذا ما فعله ابن عمر رضي الله عنه في رد بدعة القدرية، وبيان ضلالهم وزندقتهم.

٢٣- فيه تربية الناس على الاستدلال، وأن الأفضل للعالم أن يذكر الأدلة على فتواه، لا سيما إذا كان السائل من طلبة العلم؛ ليسلحه بالسلاح الأنجع والأنفع.

٢٤- فيه بيان أن الإيمان لا يتم بالقدر حتى يؤمن الناس بأن الله تعالى خالق لهم، ولما يعملون، عالم بهم وبما يعملون، كما قال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[2].

٢٥- فيه عدم التسرع في الإنكار في مستجدات الأمور حتى تُرَدَّ إلى

---

(١) سورة التوبة الآية (٥٤).

(٢) سورة الصافات الآية (٩٦).

أهل العلم ليحكموا فيها بالحق فتستبين السبيل.

❁❁❁

قوله: (بينما نحن عند النبي ﷺ)

فيه عدة فوائد:

٢٦- فيه مشروعية الجلوس في حلق الذكر، وقد ورد في هذا أحاديث كثيرة تدل على ذلك.

٢٧- فيه مشروعية الجلوس حال تلقي العلم من العلماء.

٢٨- فيه أن الجلوس في طلب العلم هو الحال اللائق به، فالعلم يحتاج إلى تواضع وسكينة، ووقار، وحلم، وأناة، بخلاف الوقوف الذي يتضمن التعالي، والكبر، والعجلة، وقلة الحلم.

٢٩- فيه حرص الصحابة على طلب العلم، وصحبة النبي ﷺ في غالب أحيانه.

٣٠- فيه إثبات الصحبة؛ وذلك في قوله: (**عند رسول الله**).

٣١- فيه تفريغ الوقت لطلب العلم، وما كان عليه الصحابة من العناية الفائقة بذلك؛ لعلمهم أن حياة الأرواح أعظم، وأهم من حياة الأبدان؛ ففرغوا من دنياهم لآخرتهم؛ فنالوا عز الدنيا والآخرة، وظفروا بخيريهما.

٣٢- فيه أن من كمال أدبهم وحسن خلقهم مع النبي ﷺ، كانوا ينادونه بالرسالة، لا باسمه المجرد؛ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿لَّا

﴿تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[1].

٣٣- فيه كمال تواضعه ﷺ؛ إذ ما كان يحول بينه وبين رعيته حائل، بل يبرز إلى رعيته بلا حجاب، ولا بوابين، فلا ضرب، ولا نهر، ولا إليك إليك، فيشهد مجلسه جميع طبقات الناس.

٣٤- فيه جلوس الراعي مع الرعية وتعليمهم، وتفقد أحوالهم، والسماع منهم.

٣٥- فيه حب الصحابة للنبي ﷺ، وأنسهم به وبرؤيته، والالتفاف حوله، والقرب منه.

٣٦- فيه أن المسجد هو ملتقى المسلمين، ففيه كان النبي ﷺ يعلم الأمة، ويقسم الغنائم، ويعقد الألوية، ويسيِّر الجيوش، ويقضي بين الرعية، فكان مسجده ﷺ خلية عاملة للدين في كل مناحيه، وهل عمرت المساجد إلا لهذا الدور الريادي القيادي؟ وهل تعمر المساجد إلا بمثل هذا؟ وذلك بخلاف ما عليه حال المساجد اليوم في كثير من بلدان المسلمين إلا من رحم الله وقليل ما هم، كما أن ذلك يتضمن الرد على الذين يحصرون مهمة المساجد في أداء الصلوات فحسب.

❁❁❁

(١) سورة النور الآية (٦٣).

قوله: (إذ طلع علينا رجل)

فيه عدة فوائد:

٣٧- فيه أن الالتفات في حلقة التعليم عند حصول الأمر الغريب ليس من قلة الأدب في طلب العلم؛ لأن هذا أمر فطري طبعي، وأن هذا ليس من الفضول في شيء.

٣٨- فيه أنه لا يضر العبد جهل الخلق به، إن كان الله تعالى يعرفه بحسن السيرة والسريرة.

٣٩- فيه معنى قولـه تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ**﴾[1].

٤٠- فيه أن الحكم على الأشياء يقع على الشكل المشاهد، لا على ما يخفى أو يكون وراء ذلك؛ ففي هذا الرد على الذين يحللون التصوير بكونها أصلًا حبسًا للظل، أو بكونها إشارات أو ذبذبات أو نحو ذلك.فنقول: المهم ما هو الشكل النهائي؟ أليس صورة؟

فالجواب: بلى.وإذن فالحكم يتعلق بهذه الحالة لا بالمراحل التي قبلها، فها هو ذا ابن عمر رضي الله عنه مع أنه عرف أن الرجل هو جبريل. مازال يروي الخبر قائلًا: إذ طلع علينا رجل؛ لأن العبرة بما يظهر لنا. أما ما غُيِّب عنا أو مرَّ بمراحل قبل ذلك فلا تعلق له بالحكم النهائي على الشيء، ولا يمكن بحال أن يغير من مسماه؛ إذ المقصود هو ما ينتهي إليه الحال والله أعلم.

❁❁❁

(١) سورة الأنعام الآية (٩).

قوله: (شديد بياض الثياب)

فيه عدة فوائد:

٤١- فيه تحسين الثياب وأن هذا لا ينافي الزهد والورع بل أحق الناس بهذا هم طلبة العلم والعلماء.

وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجَمالَ**»(١).

والأمر كما قال علي ﷺ:

حسِّن ثيابك ما استطعت فإنها زيـن الرجال بها تعز وتكرم
ودع التواضع في الثياب تخشعا فـــالله يعلم ما تُكِنُّ وتكتـم
فرثاث ثوبك لا يزيدك زلفـةً عنـد الإله وأنت عبد مجرم
وبهاء ثوبك لا يضرك بعـد أن تخشى الإله وتتقي ما يحرم

٤٢- فيه شدة ملاحظة الصحابة ودقيق نظرهم؛ حيث لاحظوا أن الرجل قد جمع بين نظافة الثياب وحسن الهيئة مع كونه غريبًا فتعجبوا لذلك!!.

٤٣- فيه حث الإسلام على التطهر والنظافة في اللباس والأبدان. لاسيما طهارة القلب من أدرانه وأمراضه وأعظمها الشرك الأكبر، والذنب الذي لا يغفر.

٤٤- فيه مشروعية لبس البياض من الثياب، كما صح بذلك الخبر عن النبي ﷺ حيث قال: «**إن خير ثيابكم البياض فالبسوها، وكفنوا فيها موتاكم**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد والنسائي وأبو داود والترمذي وقال:حسن صحيح. وابن ماجه. كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وصححه النووي وغيره.

٤٥- فيه أن الثوب كلما كان أكثر بياضًا كان أفضل وأجمل وأحسن؛ لأن البياض يتدرج.

٤٦- فيه الاستعداد بحسن الملبس وحسن الهيئة عند لقاء العلماء وطلبة العلم.

٤٧- فيه أن حسن الثياب والهيئة مما يضفي الهيبة والوقار على العبد.

٤٨- فيه أن الواجب على المسلم أن يلبس لباس المسلمين العرب ويتشبه بهم وأن لا يلبس لباس الأعداء من اليهود والنصارى والذين أشركوا بل ولا حتى لباس الأعاجم، وإن كانوا مسلمين لعموم نهي النبي ﷺ عن التشبه بالأعاجم في لباسهم، وغير ذلك. كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) بيانًا شافيًا كافيًا بما لا مزيد عليه فليراجع فإنه نفيس.

٤٩- فيه أن الأفضل أن يلبس الغريب لباس أهل البلد الوافد إليها، تأليفًا لقلوبهم وكسرًا لحاجز الوحشة بينه وبينهم، ولدفع الريبة عنه، وترك الشهرة بينهم، ما لم يكن عُرْفُ البلاد التشبه باليهود والنصارى والذين أشركوا والأعاجم، إلا لضرورة أو مصلحة شرعية راجحة. والله أعلم.

٥٠- فيه توافق الظاهر مع الباطن، فطهارة الباطن في الملائكة تامة. إذ ليس فيهم عصيان كما قال تعالى في وصفهم: ﴿**لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ**

(١) سورة التحريم الآية (٦).

﴿بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[1]. والقلوب إنما تبيض بالطاعة، وتَسْوَدُّ بالمعصية. كما صح بذلك الخبر في مسلم من حديث حذيفة ﷺ قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يَقُول: «تُعرَضُ الفِتَنُ عَلى القُلوبِ كَالحَصيرِ عُودًا عُودًا. فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكتَ فيه نُكْتةٌ سَوْداءُ. وأَيُّ قلبٍ أَنْكرها نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بيضاء. حَتَّى تَصير على قَلْبين: على أبيضَ مِثل الصَّفا. فلا تَضرُّه فِتنة ما دَامت السَّماواتُ والأرضُ. والآخرُ أسودُ مُرْبادًّا كالكوز مجخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْروفًا ولا يُنكر مُنكرًا، إلَّا مَا أُشْرِب مِن هَواه». فناسب هذا البياض في الباطن بياضًا في الثياب شديدًا. والله أعلم.

٥١- فيه عناية الصحابة ومراقبة كل ما يجري من حولهم في مجلس الرسول ﷺ احتياطًا واستعدادًا لحمايته. فقد كان عندهم أغلى من نفوسهم وأموالهم وأولادهم.

❁❁❁

قوله: (شديد سواد الشعر)

فيه عدة فوائد:

٥٢- فيه أنه أتى بهيئة الشاب؛ إذ ليس في شعره بياض الشيب، وهذا أحب إلى النفوس وآلف للقلوب، ففيه الإكرام والعناية بمقام سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٥٣- فيه التذكير بنعمة الله على عباده إذ كساهم شعرًا حسنًا. كما جاء في الصحيحين في قصة الثلاثة نفر من بني إسرائيل. وفيه «**قال:**

(١) سورة الأنبياء الآيتان (٢٦-٢٧).

فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه. قال: فأعطي شعرًا حسنًا»[١].

٥٤- فيه تفضيل الشعر الأسود على غيره من ألوان الشعور. وأن هذا السواد في الشعور يتفاضل من شخص إلى آخر. ولكن أفضله وأبهاه وأحسنه: الشديد السواد. والله أعلم.

❀❀❀

قوله: (لا يُرى عليه أثر السفر)

فيه عدة فوائد:

٥٥- فيه معنى قوله عليه الصلاة والسلام:«**السفر قطعة من العذاب: يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله**»[٢].

٥٦- فيه الاستعداد بتحسين الحال والهندام للدخول على أهل العلم وحِلَقِه، فلا يأت الإنسان بحالة الأشعث الأغبر الثائر المنهك من تعب وعناء السفر أو العمل إلى حلق العلم.

٥٧- فيه أن تحسين الهيئة مما يدخل السرور على الناظرين، وإدخال السرور على المؤمنين أمر مشروع. كما أن إدخال الحزن والغيظ على أعداء هذا الدين من أعظم القربات إلى الله جل وعلا، كما قال

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

❁❁❁

قوله: (ولا يعرفه مِنَّا أحدٌ)

فيه عدة فوائد:

٥٨- فيه فراسة عمر والصحابة حيث استنبطوا من هيئة هذا الداخل أنه غريب، وفي نفس الوقت هو حسن الهيئة والهندام!!.

٥٩- فيه تكاتف الصحابة وتكافلهم حيث إن الجميع في الغالب يعرف بعضهم البعض فهم كالأسرة الواحدة ولهذا جزم بقوله: **(ولا يعرفه منا أحد)**.

٦٠- فيه أن الحكم للغالب، ولهذا استعمل صيغة العموم حيث إن **(أحد)** نكرة في سياق النفي فأفادت العموم.

❁❁❁

(١) سورة التوبة الآيتان (١٢٠ ـ ١٢١).

قوله: (فجلس إلى النبي ﷺ)

فيه عدة فوائد:

٦١- فيه التأدب في طلب العلم بالجلوس بسكينة وأدب.

٦٢- فيه أن هيئة الجلوس أنسب لتلقي العلم حيث يكون متهيئًا للسؤال والكتابة بخلاف القائم العجل المحتفز النفس.

٦٣- فيه القرب من المعلم لسماع كلامه وفهم خطابه والتقاط الفوائد منه.

٦٤- فيه جواز التخطي للآخرين إذا كان ثمة فرجة أو مكان قريب من المعلم.

٦٥- فيه معنى حديث أبي واقد الحارث بن عوف رَضِيَ الله عَنهُ: أن رَسُول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رَسُول الله ﷺ وذهب واحد فوقفا على رَسُول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا. فلما فرغ رَسُول الله ﷺقال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه**»[1].

٦٦- فيه حرص الملائكة على حضور حلق الذكر.

❀❀❀

(١) متفق عليه.

قولـه: (فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه)

فيه عدة فوائد:

٦٧- فيه أن الهدي الراتب للنبي ﷺأن يجلس الناس بين يديه، وهذا من كمال تواضعه عليه الصلاة والسلام، فما كان يرضى أن يقف أحد على رأسه بخلاف حال المستكبرين الباغين العلو في الأرض، والإفساد فيها، بل كان يغضب على من يقوم له، أو على رأسه ﷺ، كما صحت بذلك الأخبار.

٦٨- فيه أن هذه الجلسة هي الأليق، والأنسب لطالب العلم.

٦٩- فيه الذل حال طلب العلم، وتحصيله، وأن هذا من الذل المحمود، وذلك بخلاف الذل للدنيا، وكبرائها.

٧٠- فيه كمال أدب جبريل الرفيع عليه السلام.

٧١- فيه أن لطالب العلم دلًا وهديًا وسمتًا يميزه عن غيره كما قال تعالى:﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾[1]، وهذا جلي واضح من هيئة دخوله، وطريقة جلوسه، وحسن سؤاله.

٧٢- فيه مشروعية ثني الركب عند أهل العلم، وأن العلم إنما ينال بهذه الطريقة بخلاف من يتلقى علومه عن الكتب، دون إتيان لأهل العلم (**ومن كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه**) فإن إتيان

---

(١) سورة الزمر الآية (٩).

العلماء يكسب الطالب سعة، وعلمًا، وحلمًا، وأدبًا، وهديًا، وسمتًا لا يجده، ولو قرأ آلاف المجلدات، والكتب فإن ثني الركب عند أهل العلم يورث العبد تواضعًا، وكسر كبرياء النفس لطلب العلم.

❁❁❁

قوله: (وقال: يا محمد!)

فيه عدة فوائد:

٧٣- فيه جواز مناداة الأقران بعضهم البعض بالأسماء المجردة، فجبريل أمين الوحي في السماء والنبي ﷺ أمين الوحي في الأرض.

٧٤- فيه تخصيص المسئول بالسؤال حتى لا يفتئت عليه في الإجابة أحد.

٧٥- فيه توجيه السؤال للأعلم، والأتقى، والأورع.

٧٦- فيه جواز مناداة العالم، أو الشيخ باسمه أحيانًا، ولكن يراعى في ذلك المقام، والحال.

٧٧- فيه أن طريقة السؤال، والجواب من أفضل الطرق لتعلم العلم، وبثه في الناس، وهو أنفع للسامعين.

٧٨- فيه أن أسلوب النداء، ورفع الصوت به ألفت للانتباه، وأدعى للتفطن لما يراد السؤال عنه أو إلقاؤه.

٧٩- فيه إثبات اسم النبي ﷺ، وأن اسم محمد علم عليه وأن ما عدا ذلك فهي صفات له على الراجح.

❁❁❁

قوله: (قال: أخبرني)

فيه عدة فوائد:

٨٠- فيه إشارة إلى معرفة السائل عما سأل عنه؛ لأن فيه استطلاعًا للخبر؛ لمعرفة ما عند المسئول.

٨١- فيه جواز طلب التخصيص في العلم، حيث استعمل جبريل ضمير المتكلم.

٨٢- فيه الحث على الافتقار للعلم، ليرفع الجهل عن نفسه، وذلك بالسؤال عنه.

٨٣- فيه الحث على السؤال عما أشكل، وجهله العبد.

٨٤- فيه السؤال عن الأهم فالمهم.

٨٥- فيه مشروعية رفع الصوت بشكل مناسب عند السؤال مع التزام الأدب والاحترام والخلق الرفيع.

❁❁❁

قوله: (عن الإسلام)

فيه عدة فوائد:

٨٦- فيه تعريف الإسلام بالمعنى الخاص، وأن المراد به أعمال الجوارح الظاهرة في هذا الموطن.

٨٧- فيه معنى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي:

«**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**»[1].

٨٨- فيه جواز، ومشروعية تعريف الشيء بذكر مفرداته، وأركانه كما فعل النبي ﷺ هنا.

٨٩- فيه الحث على تعلم الإسلام بادئ ذي بدء، والسؤال عنه، وأن هذا من أهم الفرائض، وأنه من العلم الذي لا يسع المسلم جهله بحال.

٩٠- فيه المبادرة إلى إجابة السائل، وتحريم كتمان العلم إلا إن كان ثمة مضرة ظاهرة عليه، أو على العامة من حصول فتنة أو نحو ذلك فله أن يكتم بعض علمه.

٩١- فيه حث العلماء على إيتاء زكاة العلم ببث ما عندهم من العلوم النافعة؛ لتنتفع الأمة جمعاء.

٩٢- فيه أهمية العلماء في الأمة فإنما بقاؤهم ببقاء علمائهم، وإلا صاروا كالبهائم.

❀❀❀

قوله: (فقال رسول الله ﷺ:الإسلام أن)

فيه عدة فوائد:

٩٣- فيه أن من سعة علم العالم، وحلمه أن يصبر حتى يفرغ السائل من سؤاله؛ ليعي مراده، ويفقه عنه سؤاله؛ فيصيب في معرفة حاله؛ فتأتي الفتوى جامعة مانعة مفيدة مطابقة لواقع الحال.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو من أفراد البخاري عن مسلم.

٩٤- فيه أن أهم ما على الناس السؤال عنه: السؤال عن أمور دينهم؛ ليسيروا إلى الله على بصيرة.

٩٥- فيه مشروعية إعادة الشيء المسئول عنه؛ ليسمعه من لم يسمعه، ويعيه من لم يفهمه،لا سيما إن كان السؤال من الأهمية بمكان كهذا السؤال العظيم؛ ليعم النفع وذلك حيث قال: (**الإسلام**) فأعاد النبي ﷺ الشيء المسئول عنه.

❀❀❀

قوله: (أن تشهد أن لا إله إلا الله)

فيه عدة فوائد:

٩٦- أنه لن يدخل المرء في هذا الدين إلا بالنطق بالشهادتين فهي بوابة الإسلام، فلا يكفي الإقرار بمعناها دون الإتيان بلفظها.

٩٧- فيه أن أعظم شعائر الإسلام النطق بالشهادتين.

٩٨- فيه معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»[1].

٩٩- فيه مشروعية مدارسة العلم لا سيما أصول هذا الدين، ومبانيه العظام فقد كان النبي ﷺ يعلم أن هذا الرجل هو

(١) أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وحسنه شيخنا العلوان حفظه الله ورعاه.

جبريل عليه السلام.

١٠٠- فيه معنى قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾[١].

١٠١- فيه أن هذه الكلمة الطيبة قامت على الحب، والبغض؛ وهي: عقيدة الولاء، والبراء .

١٠٢- فيه إثبات ركنيها النفي، والإثبات.

١٠٣- فيه معنى قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَن شَهِدَ بِالحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[٢] فلا يكفي مجرد التلفظ بها بل لا بد من إثبات لازمها من العلم، واليقين، والقبول، والانقياد، والصدق، والإخلاص، والمحبة؛ وما أجود ما قال الناظم:

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقًّا وردت

فإنه لن ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه

١٠٤- فيه إثبات الأسماء، والصفات.

١٠٥- فيه إثبات جميع أنواع التوحيد؛ استحقاقًا وملكًا لله الواحد القهار.

---

(١) سورة محمد الآية (١٩).

(٢) سورة الزخرف الآية (٨٦).

١٠٦- فيه الرد على المشركين والملاحدة والدهريين.

١٠٧- فيه الرد على من جعل أكبر همه في الدعوة بيان توحيد الربوبية دون توحيد الإلهية.

١٠٨- فيه الرد على من زعم أن معناها ينحصر في أنه لا رب، ولا خالق، ولا رازق إلا الله تعالى.

١٠٩- فيه الرد على الصوفية والرافضة الذين يؤلهون الأولياء والصالحين.

١١٠- فيه الرد على غلاة المرجئة والجهمية القائلين: إن الإيمان هو مجرد التصديق.

١١١- فيه البداءة في التعليم بالأصول قبل الفروع، وبكبار العلم قبل صغاره كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[1].

١١٢- فيه معنى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]. وأنها أعظم مشهود به.

١١٣- فيه إثبات عمل اللسان، وهو التلفظ بالشهادة الكبرى.

١١٤- فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] فالتوحيد آكد الفرائض، وأهم المهمات.

١١٥- فيه الأدب في تلقي العلم، وسماع الفتوى حيث يسكت السائل حتى يفرغ العالم من الإجابة فلا يقاطعه في أثنائها.

---

(١) سورة آل عمران الآية (٧٩).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٨).

(٣) سورة الذاريات الآية (٥٦).

١١٦- فيه معنى قولـه ﷺ:«**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رَسُول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى**»[1].

١١٧- فيه عظيم ما كان عليه العرب عمومًا من فهم معنى هذه الكلمة الطيبة، إذ لم يحتج النبي ﷺ إلى تفصيلها؛ لجلائها ووضوحها عندهم ولكن: ﴿**فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ**﴾[2]، بخلاف ما عليه كثير من المسلمين اليوم حيث ينطقون بها، ولا يفهمون، ولا يعملون بمقتضاها، فالله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❁❁❁

قوله: (وأن محمدًا رسول الله)

فيه عدة فوائد:

١١٨- فيه أن الشهادة لله تعالى بالألوهية، والوحدانية لا تنفع صاحبها حتى يشهد بالرسالة للنبي ﷺ، فالشهادتان قرينتان لا ينفع أحدهما دون الآخر.

١١٩- فيه معنى قوله عليه الصلاة، والسلام: « **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيّ وَلاَ نَصْرَانِيّ، ثُمّ يَمُوتُ**

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٣).

وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّار» [(١)]؛ ليعلم اليهود، والنصارى، ومن شايعهم أنهم لم يزالوا كافرين، حتى يقروا ويؤمنوا بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام.

١٢٠- فيه أن شرطي قبول الأعمال هما: الإخلاص والمتابعة، وأنهما مقتضى هاتين الشهادتين العظيمتين.

١٢١- فيه معنى قوله تعالى: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾[(٢)].

١٢٢- فيه تزكية عقل النبي ﷺ وقوله، فهو رسول الله الذي قال الله تعالى عنه: ﴿**نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[(٣)].

١٢٣- فيه عظيم منزلته عليه الصلاة والسلام، إذ اصطفاه رسولًا، بل خاتمًا للأنبياء وسيدًا للمرسلين، بل وأفضل خلق الله أجمعين.

١٢٤- فيه معنى قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ**﴾[(٤)]. فقد أنزل إلينا كتابًا، وأرسل إلينا رسولًا.

١٢٥- فيه معنى قوله تعالى: ﴿**رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) سورة الشرح الآية (٤).

(٣) سورة القلم الآيات (١-٤).

(٤) سورة المؤمنون الآيتان (١١٥-١١٦).

(٥) سورة النساء الآية (١٦٥).

١٢٦- فيه معنى اسم الله (**الملك**)، فإن من لوازم الملك: أن يكون له رسل يرسلهم إلى من تحت سلطانه.

١٢٧- فيه سعة رحمة الله تعالى بالعباد، إذ أرسل إليهم رسولًا، كما قال تعالى:﴿**رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ**﴾[١].

١٢٨- فيه معنى قوله تعالى:﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ۝٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا**﴾[٢].وعليه فتجب الطاعة العمياء لهذا الرسول العظيم كما قال عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ الله وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[٣].

١٢٩- فيه وجوب معرفة قدر هذا النبي ومنزلته ومكانته وجميع ما يتعلق به كما قال تعالى: ﴿**إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا**﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة الآية (١٢٩).

(٢) سورة النساء الآيتان (٦٤-٦٥).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو من أفراد البخاري عن مسلم.

(٤) سورة الفتح الآيتان (٨-٩).

١٣٠- فيه أن الله تعالى أضاف النبي ﷺ إلى نفسه إضافة التشريف والإكرام.

١٣١- فيه وجوب اليقين به ﷺ والتصديق التام له مع الانقياد؛ وإلا لم تنفع هذه الشهادة صاحبها؛ ولهذا لم يقبلها الله تعالى من المنافقين عندما شهدوا بها كما قال تعالى: ﴿**إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ**﴾[1].

١٣٢- فيه عظيم أمانته ﷺ إذ إن الله تعالى قد اختاره من بين العالمين لحمل رسالته فهو أمين الوحي في الأرض، كما أن جبريل أمين الوحي في السماء، ولهذا قال ﷺ: «**ألا تأمنونني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء**»[2].

١٣٣- فيه إثبات عصمته عليه الصلاة والسلام في التبليغ، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ**﴾[3] فإن هذا من مقتضيات الرسالة ولوازمها.

١٣٤- فيه التعبد بلفظ الشهادتين، وأن هذا من أجل القربات؛ ولهذا ورد تكرارهما في مواطن متعددة من سنته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سورة المنافقون الآية (١).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) سورة الحاقة الآيات (٤٠-٤٧).

١٣٥- فيه الرد على الحلولية والاتحادية، فالرب ربٌّ، والرسول رسول، فليس في الله تعالى شيء من خلقه، وليس في خلقه شيء منه تبارك وتعالى، فتعالى الله عما يقول ويصف الظالمون علوًّا كبيرًا.

١٣٦- فيه إثبات بشريته عليه الصلاة والسلام، وأنه رسول الله، وليس له من الإلهية شيء، فهو عبد لا يعبد، ونبي لا يكذب، بل يطاع ويتبع.

١٣٧- فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[3].

١٣٨- فيه أن من لوازم هذه الشهادة اعتقاد أنه ﷺ بلغ البلاغ المبين.

❀❀❀

قوله: (وتقيم الصلاة)

فيه عدة فوائد:

١٣٩- فيه فرضية إقام الصلاة.

١٤٠- فيه أنها الركن الثاني من أركان الإسلام.

١٤١- فيه أن من أراد إبراء الذمة فيها فعليه بإقامتها على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه، لا كيف ما اتفق ولا كيفما أداه أكثر

(١) سورة القصص الآية (٦٨).
(٢) سورة المائدة الآية (٥٤).
(٣) سورة الأنعام الآية (١٢٤).

الناس، ولا على الأعراف والعادات والتقاليد وفعل الآباء والأجداد، ولهذا قال: **(وإقام الصلاة)** ولم يقل **(وأداء الصلاة)** إشارة إلى أن المعول على إقامتها.

١٤٢- فيه أنها لا يمكن إسقاطها بحال لمن كلف بها إلا الحائض والنفساء والمجنون والصغير الذي لا يميز فهي من لوازم الإسلام.

١٤٣- فيه بيان فضلها وعظيم أهميتها إذ إنها جاءت في المرتبة الثانية بعد النطق بالشهادتين؛ ولهذا حكم الشارع بالكفر على تاركها، وأجمع الصحابة على ذلك، وجعلها الشارع الحكيم الفارقة بين الإسلام والكفر والنفاق، كما قال تعالى: ﴿**مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ**﴾[2].

١٤٤- فيه أن إقامتها لا يكون إلا بميقاتيها الزماني والمكاني لا حسب الأهواء والفراغ كما قال تعالى: ﴿**فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا**﴾[3].

١٤٥- فيه كرم الله تعالى وتفضله على عباده؛ إذ أذن لهم أن يصلوا بين يديه ويتصلوا به عبر مناجاته وسؤاله بإقامة هذه الشعيرة العظيمة، كما قال تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ**

(١) سورة الروم الآيتان (٣١ ـ ٣٢).
(٢) سورة المدثر الآيتان (٤٢ ـ ٤٣).
(٣) سورة النساء الآية (١٠٣).

﴿فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1]. فهذا تشريف للعباد المصلين.

١٤٦- فيه أنها من أعظم أسباب إحسان العلاقة بين الخالق ـ تبارك وتعالى ـ وعباده المؤمنين.

١٤٧- فيه إثبات الرسالة وكذلك في كل ما سيأتي إذ لا سبيل إلى معرفة كيفية إقامتها، وباقي شعائر الدين إلا عن طريق الرسول ﷺ.

١٤٨- فيه معنى قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2]. فإن الأمة التي تقيم الصلاة كما ينبغي تكثر فيها الخيرات، وتحل فيها البركات، وتقل الفحشاء والمنكرات، ويعزها الله تعالى، وينصرها على أعدائها.

١٤٩- فيه وجوب الأمر بها ومتابعة المتخلفين فيها فهي من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة وهذا من آكد مهمات ولاة الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3] وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة النور الآيتان (٣٦-٣٧).

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٥).

(٣) سورة طه الآية (١٣٢).

«**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب، فيحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلًا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال، فأحرق عليهم بيوتهم**».

١٥٠- فيه الرد على المرجئة الذين يخرجون الأعمال من مسمى الدين والإيمان.

١٥١- فيه تزكية المقيمين للصلاة كما قال، تعالى:﴿**الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ**﴾[1].

١٥٢- فيه معنى قوله، تعالى:﴿**وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ**﴾[2].

١٥٣- فيه معنى التدرج في التعليم، والدعوة إلى الله تعالى من الأهم إلى المهم وهكذا.

١٥٤- فيه معنى قوله عليه الصلاة والسلام:«**صلُّوا كما رأيتموني أصلي**»[3].

❀❀❀

قوله: (وتؤتي الزكاة)

فيه عدة فوائد:

---

(١) سورة البقرة الآيات (١-٤).

(٢) سورة البقرة الآيتان (٤٥-٤٦).

(٣) أخرجه البخاري من حديث مالك بن الحويرث. وهو من أفراد البخاري عن مسلم.

١٥٥- فيه فرضية الزكاة، وأنها ركن من أركان الإسلام. فمن منعها وجب قتاله عليها، وذلك بالإجماع، وفي كفره خلاف بين أهل العلم.

١٥٦- أنها في المرتبة الثانية بعد الصلاة، فهي قرينة الصلاة في كثير من آيات الكتاب العزيز؛ مما يدل على عظيم منزلتها في الإسلام.

١٥٧- فيه معنى قولـه، عليه الصلاة والسلام: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[(١)].

١٥٨- فيه أن الإنفاق في مراضي الله ـ تعالى ـ هي في الحقيقة زكاة ونماء، وزيادة لا نقصان معه. وهذا واضح من تسمية الشارع لها زكاة ففيه معنى قوله، عليه والصلاة والسلام:«**ما نقصت صدقة من مال**»[(٢)].

١٥٩- أنها طهرة للمال وصاحبه، وتزكية له ولماله.

١٦٠- فيه الحث على أدائها بطيب نفس، ووجوب ذلك وتعينه، بحيث يكون منشرح الصدر بها. وهذا واضح من قولـه: **(وإيتاء)** الدالة على سعي المزكي، وحبه لبذلها فلم يقل: (أخذ الزكاة) وإنما (**إيتاء الزكاة**).

١٦١- فيه تقرير الإسلام لمبدأ التكافل، والتراحم. فقد شرعت الزكاة مواساة للفقراء والمساكين وباقي أصناف الزكاة الثمانية.

١٦٢- فيه تعويد النفوس وحثها على الإنفاق في سبيل الله؛ فتتخلص

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو من أفراد مسلم عن البخاري.

النفس من الشح والبخل، وتعتاد الإنفاق والإحسان.

١٦٣- فيه الرد على الاشتراكية، وأن الإسلام جاء باحترام الملكية الفردية مع عدم نسيان حقوق الآخرين والحث على التكافل الاجتماعي بين المسلمين.

١٦٤- فيه معنى قوله، تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1].

١٦٥- فيه تزكية الشارع للباذلين لها، وأنهم على قدر كبير من الإيمان واليقين بثواب الله وإخلافه.

١٦٦- فيه إثبات المعنى العام للعبودية، وأن لله حقًّا على العباد في كل أحوالهم، ولحظات حياتهم. خلافًا لما يدعو إليه العلمانيون والمنافقون والمرجفون في المدينة من المسارعين في ركاب اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، لا كثَّرهم الله، فالصلاة حق الله في البدن، والزكاة حق الله في المال؛ ولهذا ضل قوم شعيب؛ لما ظنوا أنه ليس لله حق في أموالهم، وأنه لا شأن للعبادة بالمال كما قال تعالى:﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[2]

١٦٧- فيه تربية النفوس على الزهد في الدنيا، والتطلع لما عند الله جل وعلا من الأجر العظيم، والمثوبة الكبيرة في الدار الآخرة.

١٦٨- فيه وجوب بذل الزكاة بدون أي مَنٍّ أو أذىً. إذ لا فضل له

---

(١) سورة النور الآية (٣٣).

(٢) سورة هود الآية (٨٧).

فيها، ولا مِنَّة. بل هي حق الفقير يجب أداؤها إليه، فمن أطاع: نجا، ومن أبى: هلك وغوى.

١٦٩- فيه أن الواو لا تفيد المساواة، وإنما تفيد التشريك العام، وقد نقل ابن تيمية الإجماع على ذلك، ولهذا قال أهل العلم: دلالة الاقتران ضعيفة، بمعنى ليس كون الشيء مقرونا بغيره أنه يساويه، فالزكاة ليست كالصلاة، والصلاة ليست كالشهادتين.

١٧٠- فيه شمولية الإسلام، وعنايته بجميع جوانب الحياة.

١٧١- فيه معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**والصدقة برهان**»[1].

١٧٢- فيه ارتباط القول بالعمل، وأن الإسلام لابد أن يُنَزَّلَ في واقع الحياة؛ ليكون إسلامًا فعالًا بناءً.

١٧٣- فيه معنى قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ**﴾.[2]

❀❀❀

قوله: (وتصوم رمضان)

فيه عدة فوائد:

١٧٤- فيه فرضية صيام شهر رمضان.

١٧٥- فيه أن ما عداه من الصيام هو من النفل لا من الفرض. إلا ما ألزم العبد به نفسه كالنذر، أو ما رتبه الشارع كفارة لشيء

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رَضِيَ الله عَنْه.

(٢) سورة المعارج الآيتان (٢٤ ـ ٢٥).

معين، ككفارة اليمين عند العجز عن العتق أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم؛ فيجب صيام ثلاثة أيام، والراجح أن تكون متتابعات، وكما في كفارة الظهار، أو الجماع في نهار رمضان، أو قتل النفس التي حرم الله خطأ، ونحو ذلك على ما جاء في الشريعة المطهرة.

١٧٦- فيه فضيلة الصيام.

١٧٧- فيه معنى قوله ﷺ: «**والصوم جُنَّة**»[١].

١٧٨- فيه عناية الإسلام بأحوال القلوب وصلاحها لما في الصيام من ترقيق القلوب.

١٧٩- فيه عناية الإسلام بتهذيب الأخلاق والأمر بمكارمها، فللصيام أثر بالغ في ذلك.

١٨٠- فيه حث الإسلام على العناية بالمسلمين، وتذكر أحوالهم كالفقراء والمساكين والمشردين والـجَوْعَى ونحو ذلك. فبالصيام يحصل شيء كثير من ذلك.

١٨١- فيه أن الصيام يرتقي بالعبد إلى أعلى مراتب العبودية، وهي مرتبة الإحسان. فهو سر بين الخالق والمخلوق ففيه معنى قوله ﷺ في الحديث القدسي: «**إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»[٢].

١٨٢- فيه تدريب النفس على تحمل المشاق، فإن الصبر هو حبس النفس عما حرم الله ورمضان هو شهر الصبر.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٨٣- فيه معنى المقولة المشهورة:(من ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه)[١]. فصبر قليل على صيام أيام معدودات يورث العبد نعيمًا أبديًّا كما قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٢].

١٨٤- فيه تحقيق معنى العبودية لله رب العالمين، حيث نهانا عن الحلال المجمع على حله من طعام وشراب وجماع للزوجات وملكة اليمين وغير ذلك مما أحله الله تعالى، تركناها عبودية لله ـ جل وعلا ـ وانقيادًا له؛ لأنه سبحانه وتعالى هو المتصرف في عباده بما شاء وكيف شاء ـ جل جلاله ـ ولهم في ذلك الشرف والعزة.

١٨٥- فيه وجوب أداء الصيام تعبدا لا تَطببًا، ولا حِمْيَةً وإنما يأتي ذلك تبعًا.

١٨٦- فيه أن الواجب إتمام صيام شهر رمضان سواء تم الشهر أو نقص، وسواء صامه في بلدة واحدة، أو انتقل فصام باقيه في بلدة أخرى، ولو بلغ صيامه أكثر من الثلاثين؛ لأن الواجب صيام شهر رمضان، فالصوم يوم صوم الناس كما قال النبي ﷺ:«**الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تُضحون**». أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث غريب حسنٌ، وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث، فقال: إنما معنى

---

(١) روي مرفوعا من حديث ابن عمر وغيره ولا يصح رفعه وروي موقوفًا عن جمع من الصحابة كما أخرجه أحمد في «مسنده».

(٢) سورة يونس الآية (٨).

هذا، الصوم والفطر مع الجماعة، وعظم الناس.

١٨٧- فيه أن الله ـ تعالى ـ اختار هذا الشهر، وخصه بالصيام من بين سائر الشهور. فالأمر أمره، والخلق خلقه، وكل شيء عنده بحكمة تامة وقدر ومشيئة نافذة كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

١٨٨- فيه تنوع شرائع الإسلام رحمة من الله، وفضلًا؛ ليضرب العبد بسهم في جميع أنواع العبوديات لله الواحد القهار.

١٨٩- فيه الإجمال في الموطن الذي يتطلب ذلك، حيث أجمل جميع الأركان مع تفصيلها في مواطن أخرى إلا أن المقام الآن ليس مقام تفصيل، فلكل مقام مقال.

١٩٠- فيه رحمة الله بعباده حيث شرع لهم ما تكفر به السيئات، وترفع به الدرجات.

١٩١- فيه جواز تسمية شهر الصيام برمضان هكذا دون تقييد، أو بيان، أو إضافة إلى الشهر.

١٩٢- فيه بيان ضعف ونكارة الخبر الوارد في «سنن البيهقي»، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى، ولكن قولوا: شهر رمضان**». وهذا الحديث ضعَّفه البيهقي، وقال النووي: والضعف عليه ظاهر.

❀❀❀

(١) سورة القصص الآية (٦٨).

قوله:(وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلًا)

فيه عدة فوائد:

١٩٣- فيه فَرضية الحج، وأنه الركن الخامس من أركان الإسلام.

١٩٤- فيه أن وجوب الحج مقرون بالاستطاعة.

١٩٥- فيه دليل للقاعدة الفقهية (**المشقة تجلب التيسير**).

١٩٦- فيه رحمة الله بعباده، وكمال عدلـه جل جلاله كما قال، تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ**﴾[1].

١٩٧- فيه معنى قوله ﷺ:«**وإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما استطعتم**»[2].

١٩٨- فيه أن ترك الحج ليس كفرًا على كل حال.

١٩٩- فيه تشريف بقاع الحرم، ومشاعر الحج على ما سواها.

٢٠٠- فيه الرد على الرافضة الذين يحجون إلى غير البيت الحرام، وهذا كفر صُراح وشرك أكبر، وتبديل لشرع الله، تعالى.

٢٠١- فيه وجوب المبادرة إلى الحج حال الاستطاعة عليه على الراجح.

٢٠٢- فيه أن الحج تضمن سائر أنواع العبادات البدنية والقولية والمالية.

٢٠٣- فيه عناية الإسلام بجمع الكلمة، ووحدة الصف المتمثل باجتماع المسلمين في هذه الفريضة العظيمة.

٢٠٤- فيه الحث على الإخلاص أثناء أدائه فالحج لغة: القصد؛ ولهذا يبتدأ بالتلبية التي اشتملت على جميع أنواع التوحيد.

٢٠٥- فيه تكافؤ المسلمين فليس ثمة أركان للخاصة، وأخرى

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

للعامة، بل الكل مخاطبون بأداء هذه الأركان.

٢٠٦- فيه بذل الأموال في مراضي الله تعالى، وأعظمها أداء فريضة الحج.

٢٠٧- فيه الحث على إفراغ الوسع، وبذل الجهد في تحصيل الاستطاعة؛ حتى يجدها لتبرأ ذمته.

٢٠٨- فيه أنه لا يلزم الحج من مال العبد نفسه، فلو تبرع له أحد لكي يحج على نفقته كان مستطيعًا، وأجزأ عنه حجه فعليه المبادرة لإبراء ذمته.

٢٠٩- فيه معنى قوله، تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، فلا يقصد البيت الحرام إلَّا بالخير، وأنواع العبودية، فمن قصده بسوء فهو من الملحدين في الحرم.

٢١٠- فيه دليل للقائلين بأن الحرم هو فجاج مكة كلها، وتوابع ذلك من بقاع الحرم ومشاعره؛ لأن الحج يتضمن الذهاب إلى بقاع غير مكة كمنى والمزدلفة وهي من الحرم.

٢١١- فيه معنى قوله، تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[2].

٢١٢- فيه استجابة دعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ حيث قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الحج الآية (٢٥).

(٢) سورة الحج الآية (٢٧).

(٣) سورة إبراهيم الآية (٣٧).

٢١٣- فيه التوسيع على هذه الأمة، فلهم أن يقصدوا البيت بكل سبيل برًّا أو جوًّا أو بحرًا فلله الحمد والمنة.

٢١٤- فيه معنى قول بعض السلف: **(الراكب كثير، والحاجُّ قليل)** فإن المقصود من الحج التعبد، وتحصيل التقوى، ومغفرة الذنوب. لا مجرد إسقاط الفرض كيفما اتفق كما يظن بعض الجهال، فهذا معنى قوله ﷺ: «**لتأخذوا عني مناسككم**»[1].

٢١٥- فيه معنى قوله، عليه الصلاة والسلام: «**إن هذه الأمة لا تزال بخير ما عظموا هذه الحرمة** - يعني الكعبة - **حق تعظيمها، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا** »[2].

٢١٦- أن العبادة إذا كانت متعلقة بشرط معين؛ وجب بيانه ولو لم يسأل عنه السائل؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**لمن استطاع إليه سبيلًا** ».

٢١٧- فيه شرف هذا البيت عند الله تعالى؛ لأنه أضيف إليه جل وعلا، وهذا من إضافة التشريف والإكرام.

٢١٨- فيه إحياء ميراث الأنبياء، والإشادة بأبيهم إبراهيم، والتذكير به وبمقامه العظيم وهمته العالية.

❁❁❁

في قوله:

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنه.

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه وعمر بن شبة في «كتاب مكة» من حديث عياش بن أبي ربيعة المخزومي رضي الله عنه. وقال الحافظ ابن حجر: سنده حسن. وحسنه شيخنا سليمان العلوان حفظه الله ورعاه.

(قال: صدقت، فعجبنا له؛ يسأله ويصدقه)

فيه عدة فوائد:

٢١٩- فيه أن الواجب أن يكون الراعي من أعلم الناس، وأفقههم في دين الله جل وعلا؛ حتى يسوس رعيته بالكتاب والسنة. لا بالهوى والطاغوت والتعصب والطغيان.

٢٢٠- فيه ما يجب أن يكون عليه الراعي من التحلي بمكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والنصح والعلم إلى غير ذلك من معالي الأمور.

٢٢١- فيه مشروعية الإعانة على المعروف، فإذا قام المصلحون والناصحون لتقرير الحق؛ وجب إعانتهم ولو بالكلمة الطيبة التي تشد من أزرهم، وتقوي موقفهم.

٢٢٢- فيه تزكية وشهادة من أمين الوحي في السماء جبريل عليه السلام لأمين الوحي في الأرض محمد ﷺ،وذلك من قوله:(**صدقت**).

٢٢٣- فيه أن الإسلام إذا قرن مع الإيمان في موطن واحد، وسياق واحد؛ افترقا في المعنى، فكان الإسلام المراد به الأعمال الظاهرة، بينما الإيمان المراد به الأعمال الباطنة.

٢٢٤- فيه معنى قوله تعالى:﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ**﴾[1].

٢٢٥- فيه ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الأدب الرفيع، والخلق العظيم، والاحترام، والتوقير للنبي ﷺ؛ حيث إنهم

(١) سورة النجم الآية (٢-٣).

تعجبوا من هذا السائل الذي يسأل العالم الكبير والنبي العظيم ثم يعمد إلى تصديقه؛ مما يدل أنهم ما كانوا يفعلون ذلك مع النبي ﷺ، ولكن زال عنهم الإشكال لما عرفوا أن السائل هو جبريل عليه السلام.

٢٢٦- فيه معنى قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[1]؛ لأن قوله صدقت شهادة ناتجة عن علم بالحق، فإن من شهد بدون علم، ولو أصاب الحق كان مبطلا، ومن شهد بخلاف ما يعلم كان كاذبًا معاندًا.

٢٢٧- فيه الرد على المرجئة، وإثبات لمعتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة حتى يبلغ قمته وأوجَه وينقص حتى يضمحل ويتلاشى حيث إن الإسلام أعمال وأقوال واعتقادات.

٢٢٨- فيه أنه لا يلزم من التعجب التسبيح أو التكبير دائمًا، وإنما يفعل ذلك أحيانًا؛ لأن الصحابة تعجبوا ولم يسبحوا ولم يكبروا.

٢٢٩- فيه جواز استعمال الضمير المشترك العائد على النبي ﷺ، وجبريل عليه السلام؛ إذا أُمِنَ اللبس، أو التنقص.

٢٣٠- فيه أنه ليس من الأدب أن يُصَدِّقَ طالبُ العلمِ شيخَهُ حال إجابته على السؤال.

٢٣١- فيه معنى قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً**

(١) سورة الزخرف الآية (٨٦).

﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

٢٣٢- فيه الأدب في سماع الفتوى، وتلقي العلم؛ فيصبر، ويسكت عن المقاطعة حتى ينتهي العالم من مقالته، وجوابه.

٢٣٣- فيه بذل المفتي الجهد؛ للنصح للمستفتي؛ فيحرص على استغراق جميع أجزاء الفتوى مهما أمكن ذلك، إذا كانت الحاجة داعية إلى مثل هذا.

٢٣٤- فيه عدم التعجل بالإنكار على ما يظهر في حلقة العلم، أو في أيِّ مجلس، إذا كانوا بحضرة الأعلم؛ لأنهم قد ينكرون حقًّا، أو لا يعرفون قدر السائل فالعالم أعلم؛ فيجب التزام الأدب مع العلماء. فإن كان ثمة ما يُنْكَر فهو أي: العالم أولى بإنكاره، إلا إن ثبت، ووضح كونه منكرًا وتَيَقَّنَّا أن العالم استحيا من إنكاره؛ فالواجب تنبيه العالم بذلك؛ حتى يباشر الإنكار هو بنفسه، فإن هذا أوقع في النفوس، وأبلغ في الإنكار، وبيان وجه الحق والصواب.

❁❁❁

قوله: (قال: فأخبرني عن الإيمان)

فيه عدة فوائد:

٢٣٥- فيه أن الإيمان هو المرتبة الثانية من مراتب الدين.

---

(١) سورة النحل الآية (٤٣-٤٤).

٢٣٦- فيه أن الإيمان هنا معناه: الأعمال الباطنة التي تكون بالقلوب.

٢٣٧- فيه أن الأخذ إنما يكون بالظواهر إلا إن ظهر لنا ما يخالف ذلك، فالأصل الإسلام؛ لقوله ﷺ « **إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم** »[(١)].

٢٣٨- فيه معنى قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[(٢)].

٢٣٩- فيه إثبات قول القلب، وعمله.

٢٤٠- فيه أن الإيمان أضيق دائرة من الإسلام، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا، فقد يكون مظهرُ الإسلامِ ليس بمؤمنٍ، كحال المنافقين أعاذنا الله ـ تعالى ـ من حالهم.

❀❀❀

في قوله: (أن تؤمن بالله)

فيه عدة فوائد:

٢٤١- فيه أن الإيمان بالله ـ تعالى ـ يشمل جميع أنواع التوحيد الثلاثة والتي هي:(**الإيمان بالربوبية والإلهية والأسماء والصفات**)، وإفراد الله ـ تعالى ـ بذلك وحده لا شريك له جل وعلا.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، ﷺ .

(٢) سورة الحجرات الآية (١٤).

٢٤٢- فيه أن الإيمان بالله ـ تعالى ـ هو أعظم أعمال القلوب.

٢٤٣- فيه أن الإيمان بالله تعالى هو أول أركان الإيمان بمعناه الخاص.

٢٤٤- فيه أن الإيمان الخاص هو المذكور في هذا الحديث العظيم، بينما الإيمان العام هو: (**قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح**) وهو بهذا الاعتبار يشمل الدين كله، وهو مرادف لمعنى الإسلام العام المتقدم ذكره.

٢٤٥- فيه أن المذكور في هذا الحديث هو أفراد وأركان الإيمان. أما تعريفه فهو أعمال الباطن. كما أن الإسلام الخاص هو أعمال الظاهر كما تقدم تقريره.

٢٤٦- فيه نقل الحقائق اللغوية إلى الحقائق الشرعية، وأن المعول عليه في الشرع هي الحقائق الشرعية في جميع الألفاظ المنقولة، كلفظ الصلاة، والإيمان، وما شابه ذلك، فالإيمان في اللغة هو التصديق ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ**﴾[1] فنقله الشرع إلى معناه الشرعي.

٢٤٧- فيه أن الإيمان النافع هو إفراد الله بالعبودية؛ ولهذا لم ينفع اليهود، والنصارى، والمشركين إيمانهم المختلط بالشرك به جل وعلا.

٢٤٨- فيه إثبات جميع أنواع التوحيد الثلاثة. حيث لم يقل النبي ﷺ (أن تؤمن بالرب)، وإنما قال « **أن تؤمن بالله**»، فإن في لفظ الجلالة الشريف «**الله**» جميع أنواع التوحيد الثلاثة إما بالمطابقة، أو التضمن، أو الالتزام.

٢٤٩- فيه نفي الآلهة الباطلة، وإثبات الإلهية الحقة لله الواحد القهار.

---

(١) سورة يوسف الآية (١٧).

إذ أن لازم القول ثابت معتبر في الكتاب والسنة، فلازم قوله هنا: « **أن تؤمن بالله**» الكفر بكل ما عداه، كما أن من لوازم الإيمان بالله تعالى محبته، وموالاته، وموالاة من والاه الله، ومن والى الله، ولازم ذلك الكفر بالطاغوت، وكل من عادى الله رب العالمين، أو عادى أولياءه، وأحبابه.

٢٥٠- فيه معنى قوله، تعالى: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[1].

في قوله: (وملائكته)

فيه عدة فوائد:

٢٥١- فيه طلب الاختصار في الحديث على أن يكون المعنى ظاهرًا؛ لأن النبي ﷺ لم يقل: (وأن تؤمن بملائكته... وهكذا)؛ لدلالة السياق عليه، والله تعالى يحب جوامع الكلم؛ ولهذا آتاها لنبيه ﷺ. قَالَ:«**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ. وَنُصِرْتُ بِالرّعْبِ. وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا. وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافّةً. وَخُتِمَ بِيَ النّبِيّونَ**»[2].

٢٥٢- أن الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان .

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٥).

(٢) أخرجه مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وهو في «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي**» واللفظ للبخاري.

٢٥٣- فيه أن الإيمان بالملائكة لا ينفع إلا بعد تحقيق الإيمان بالله الواحد القهار.

٢٥٤- فيه أن الإيمان بالملائكة لا يتحقق إلا بالإيمان بأعيانهم الذين سماهم الله تعالى في كتابه العزيز، أو النبي ﷺ فيما صح من سنته المطهرة، والإيمان بوظائفهم، ومعرفتها، وهذا هو الإيمان المفصل. كما نؤمن إجمالًا بأن لله ملائكة كثيرين لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، وأن لكل واحد منهم عملًا يقوم به بين يدي الرب تبارك وتعالى، وهذا هو الإيمان المجمل.

٢٥٥- فيه إثبات وجود الملائكة، وإثبات حقائقهم، وأنهم عباد لله مخلوقون من النور، لا كما تقول الملاحدة: إنهم عبارة عن إشارات وتخيلات تتمثل لأصحاب النفوس الزكية، كما صرح بهذا الزنديق ابن سينا في كتابه «الإشارات»، وقد بين زندقته، وضلاله، وكشف عواره الإمام ابن القيم في النونية، وفي مواضع من كتبه، بما لا مزيد عليه. في حين أن كثيرًا من المتأخرين ـ لا سيما العوام ـ اغتروا بهذا الزنديق عافانا الله وإياكم من ذلك كله، كما ترى ذلك واضحًا من تسمية بعض المحلات والصيدليات باسمه فالله المستعان، ونسأل الله العافية والسلامة.

٢٥٦- فيه تَنَوعُ مخلوقات الله تعالى الدالة على عظمته، ووحدانيته، وقدرته جل وعلا فهو سبحانه الخلاق القدير الحكيم العليم العظيم.

٢٥٧- فيه شرف الملائكة، حيث أضافهم النبي ﷺ إلى الله جل وعلا إضافة التشريف والإكرام.

٢٥٨- فيه أن الملائكة عباد لله تعالى، فليس لهم حظ، ولا قسط من

الألوهية، ولا الربوبية، ولا يعلمون الغيب، ولا ينفعون ولا يضرون إلا بإذن الله تبارك وتعالى كما قال تعالى:﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾(١).

٢٥٩- فيه الرد على عباد الملائكة، والأولياء والصالحين كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

٢٦٠- فيه الأمر بالإيمان بالغيب بجميع أجزائه، مما غيب عنا، مما لم نره، ولم نسمعه.وقد امتدح الله تعالى عباده الصالحين المتقين أولًا وقبل كل شيء بعظيم إيمانهم بالغيب وقَدَّمَها على سائر صفاتهم وخصالهم الحسنة الرفيعة كما قال تعالى:﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾(٣).

❁❁❁

(١) سورة النجم الآية (٢٦).
(٢) سورة الأنبياء الآيات (٢٥-٢٩).
(٣) سورة البقرة الآيات (١-٣).

قوله: (وكتبه)

فيه عدة فوائد:

٢٦١- فيه شرف هذه الكتب حيث أضيفت إلى الله رب العالمين.

٢٦٢- فيه معنى قوله تعالى:﴿**إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ**﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿**إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[(٢)]، وقوله تعالى:﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ**﴾[(٣)]، ففيه وجوب التحاكم إلى شرع الله تعالى، **دونما سواه**، وأن هذا من آكد فروض هذا الدين العظيم وأن التحاكم إلى غير الشرع المطهر أو اعتقاد أن هناك ما هو أفضل منه، أو أنه يسوغ الحكم بغير الشريعة المنزلة، أو يرى أنها لا تتناسب مع الواقع اليوم وأن التحاكم إلى الشرع المطهر؛ يثير الفتن والمشاكل والقلاقل، ويثير العداوة بين الناس أو يرى أن التحاكم إلى الشرع المنزل غير ملزم، وليس بلازم أو يرى أنه يسعه الخروج عنه. إلى غير ذلك من الأقوال كل هذا **كفر أكبر بإجماع المسلمين**[(٤)].

٢٦٣- فيه أن مِنْ لازم الإيمان بكتب الله ـ تعالى ـ الكفر بما عداها من الكتب الباطلة، والتشريعات الجاهلية كما قال تعالى:﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا**

---

(١) سورة الأنعام الآية (٥٧).

(٢) سورة يوسف الآية (٤٠).

(٣) سورة المائدة (٤٤).

(٤) نقل إجماعهم إسحاق بن راهويه وابن تيمية وابن كثير وغيرهم.

﴿كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]، وقال، تعالى:﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

٢٦٤- فيه تحريم نسبة الكتب المحرفة كالتوراة والإنجيل (المحرفين) إلى الله تعالى، وتحريم تسميتها بالكتب المقدسة أو السماوية وهي على هذه الحالة من التحريف؛ لأنها لا يصدق عليها، والحالة هذه أنها كتب الله؛ وبالتالي لا يجوز نسبتها إليه، جل وعلا.

٢٦٥- فيه أن الإيمان بكتب الله ـ تعالى ـ هو الركن الثالث من أركان الإيمان.

٢٦٦- فيه إثبات كثرة كتب الله ـ تعالى ـ التي أوحى بها إلى أنبيائه ورسله، وأن شرائعهم وإن اختلفت إلا أن أصلها واحد، وهو إثبات العبودية الحقة لله رب العالمين، والكفر بما سواه من الطواغيت، والمعبودات الباطلة، والبراءة منها ومن أهلها كما قال ـ تعالى ـ مبينًا كثرة كتبه تبارك وتعالى:﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[٣].

٢٦٧- فيه عظيم رحمة الله تعالى بخلقه إذ أرسل إليهم رسلًا، وأنزل إليهم كتبًا فيها خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٤].

٢٦٨- فيه كمال عدل الله تبارك وتعالى، حيث لم يكتف بالأمر المطلق

---

(١) سورة الشورى الآية (٢١).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٦).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٨٤).

(٤) سورة الأنبياء الآية (١٠).

حتى أنزل كتبًا يفصل فيها لعباده ما يأتون وما يذرون، وبين فيها ما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويأباه؛ حتى تقوم الحجة التامة على العباد، ولله الحجة البالغة ـ سبحانه وتعالى ـ عما يصفون.

٢٦٩- فيه الإشادة بنعمة الكتابة، وبيان شرفها، وأهميتها.

٢٧٠- فيه فضل جمع العلم النافع، وتدوينه في الكتب.

٢٧١- فيه إثبات العصمة لكتب الله ـ تعالى ـ وذلك من إضافتها إلى الله رب العالمين كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ**﴾[1].

٢٧٢- فيه تحريم هجران كتاب الله تعالى، وأن هذا ينافي حقيقة الإيمان به كما قال، تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا**﴾[2].

٢٧٣- فيه الرد على الصوفية، والجهمية، والأشاعرة، وأهل الضلال في الجملة القائلين:(بأن هذه الكتب خوطب بها العامة، وأما الخاصة فلهم شيء وراء ذلك) عياذًا بالله من هذا الضلال العظيم. ووجه ذلك أن الرسول ﷺ جعل الإيمان بالكتاب ركنًا من أركان الإيمان، فكيف يكون هذا الإيمان غامضًا؟ أو يُعْنَى به دون البعض؟ أو يراد به غير المتبادر للذهن من أخباره، وأوامره، وحدوده، وشرعه؟ هذا من أبطل الباطل وأمحل المحال.

---

(١) سورة فصلت الآيتان (٤١-٤٢).

(٢) سورة الفرقان الآية (٣٠).

٢٧٤- فيه كفر اليهود والنصارى، حيث أنهم بدلوا شرع الله، واستعاضوا عنه بأقوال الأحبار، والرهبان، والكبراء كما قال، تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[1].

٢٧٥- فيه تحريم التفريق بين الكتب على وجه الفخر، أو الازدراء، والتنقص، فالكل من عند الله، تبارك وتعالى.

٢٧٦- فيه وجوب الإيمان بالكتب على الوجه الذي أخبر الله به في كتابه العزيز، والسنة الصحيحة، وذلك بالإيمان بها إجمالًا حيث الإجمال، وتفصيلًا حيث التفصيل. إذ لا يتم الإيمان التام بالكتب إلا بهذا.

٢٧٧- فيه أن الإيمان بالكتب لا يعني العمل بجميع ما جاء فيها، إذ أن كل أمة مطالبة بالعمل بالكتاب الذي يخصها، والذي أنزل، أو بعث به نبيها؛ ولهذا لا يكون العبد مؤمنًا في هذه الأمة، حتى يؤمن بالقرآن العظيم، ويعمل به، ويؤمن بالرسول ﷺ، فلا يسع أحد من هذه الأمة أن يتبع غير الكتاب العزيز، والسنة الصحيحة؛ ولهذا قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما في «صحيح مسلم» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**». فخاتم هذه الكتب القرآن العظيم، فقد أنزله

(١) سورة التوبة الآية (٣١).

الله مهيمنًا كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

٢٧٨- فيه الإشارة إلى القلم الذي به تكون الكتابة، وأن هذا من أعظم نعم الله تعالى علينا، وأعظم الأقلام القلم الأول الذي خلقه الله تعالى، فأمره بأن يكتب مقادير العباد إلى قيام الساعة، فجرى القلم بذلك كما أخبر به النبي ﷺ.

٢٧٩- فيه إثبات صفة الكلام لله ـ جل وعلا ـ وأن الله تعالى قد تكلم بهذه الكتب حقيقة لا مجازًا فكلها كلام الله تعالى، وفي ذلك الرد على الجهمية والمعطلة والأشاعرة ومن نحى نحوهم الذين أنكروا صفة الكلام عن الله رب العالمين، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

٢٨٠- فيه إثبات علم الله ـ جل وعلا ـ فهذه الكتب أنزلها الله بعلمه جل وعلا كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.[2]

❀❀❀

قوله: (ورسله)

(١) سورة المائدة الآية (٤٨).

(٢) سورة النساء الآية (١٦٦).

فيه عدة فوائد:

٢٨١- فيه أن الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان.

٢٨٢- فيه إثبات الرسالات.

٢٨٣- فيه أن لفظ الرسل إذا أطلق دخل فيه النبي.

٢٨٤- فيه رحمة الله بالعباد إذ بعث فيهم رسلًا مبشرين ومنذرين.

٢٨٥- فيه معنى قوله تعالى:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[١] وهذا من كمال عدل الله، جل جلاله.

٢٨٦- فيه قيام حجة الله على خلقه كما قال، تعالى:﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢].

٢٨٧- فيه وجوب عدم التفريق بين الرسل على وجه التنقص، أو الازدراء كما قال، تعالى:﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[٣].

٢٨٨- فيه أهمية القدوات في حياة العباد،وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلون.

٢٨٩- فيه إثبات الإيمان المجمل، والمفصل بالرسل على ما جاء في الكتاب،والسنة، إجمالًا حيث الإجمال، وتفصيلًا حيث التفصيل.

٢٩٠- فيه إثبات وجود الرب ـ تبارك وتعالى ـ الذي أرسلهم، فهم

---

(١) سورة الإسراء الآية (١٥) .

(٢) سورة النساء الآية (١٥٦).

(٣) سورة البقرة الآية (١٨٥) .

رسله كما قال تعالى:﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾[1].

٢٩١- فيه شرف الرسل، وأنهم أمناء الله تعالى على وحيه في أرضه كما قال تعالى:﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2].

٢٩٢- فيه بيان وإثبات مهمة الرسل، وأنهم كلفوا بالبلاغ المبين، وأما إدخال الهداية إلى القلوب فأمره إلى الله رب العالمين.كما قال تعالى:﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[5].

٢٩٣- فيه شرف الرسل وفضلهم، حيث أضيفوا إلى الرب تبارك وتعالى.

٢٩٤- فيه أن إرسال الرسل من لوازم اسم الله الملك.

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٢٤).
(٢) سورة النساء الآية (١٦٣).
(٣) سورة المائدة الآية (٩٢).
(٤) سورة النحل الآية (٣٥).
(٥) سورة الرعد الآية (٤٠).

٢٩٥- فيه إثبات كثرة الرسل، وتعددهم، وأنه لم تخل أمة من نذير كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[2]

٢٩٦- فيه إثبات بشرية الرسل، وأنهم رسل لا يكذبون، ولكنهم عباد لا يُعْبدون من دون الله، ولا معه، وأنهم ليس لهم حظ، ولا نصيب، ولا قسط من الإلهية، ولا الربوبية، ولا أسماء الله وصفاته. كما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

٢٩٧- فيه أن الرسل لا يكونون إلا رجالًا، وهذا مأخوذ من لفظ التذكير في الحديث، وهذا هو منطوق القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ

(١) سورة فاطر الآية (٢٤).
(٢) سورة النحل الآية (٣٦).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٤٤).
(٤) سورة الأعراف الآية (١٨٨).

﴿أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]، وقال تعالى:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]. فما أرسل الله تعالى من النساء أحدًا.

٢٩٨- فيه أن من لوازم هذا الإيمان بالرسل وجوب تصديقهم، واتباعهم، والانقياد لهم، واعتقاد عصمتهم، وأنهم قد بلغوا البلاغ المبين كما قال تعالى:﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[4].

٢٩٩- فيه معنى قوله تعالى:﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[5].

---

(١) سورة يوسف الآية (١٠٩).

(٢) سورة النحل الآية (٤٣).

(٣) سورة آل عمران الآية (٣١).

(٤) سورة النساء الآيتان (٦٤-٦٥).

(٥) سورة المؤمنون الآيتان (١١٥-١١٦).

٣٠٠- فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[٢].

٣٠١- فيه الرد على القدرية القائلين: بخلق العباد لأفعالهم، حيث إن هذه الرسالة ليست من كسب الرسل، بل هي محض فضل الله تعالى عليهم.فهو الذي اختارهم بعلمه وحكمته، وهو الذي أرسلهم كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝٨٦ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾[٦].

٣٠٢- فيه الرد على الجبرية القائلين: بأن العبد مجبور على فعله، وأنه لا مشيئة له ألبتة، ووجه ذلك أن هؤلاء الرسل أُرسِلُوا إلى الناس؛ فأطاعهم من أطاعهم، وعصاهم من عصاهم، بمحض

(١) سورة القصص الآية (٦٨).
(٢) سورة ص الآية (٤٧).
(٣) سورة الأنعام الآية (١٢٤).
(٤) سورة الأعراف الآية (١٤٤).
(٥) سورة الشورى الآية (٥٢).
(٦) سورة الإسراء الآيتان (٨٦-٨٧).

مشيئتهم التي لا تنفك عن مشيئة الرب تبارك وتعالى، فمن اهتدى؛ فلنفسه، ومن ضل؛ فعليها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[1].

٣٠٣- فيه معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾[3]

❁❁❁

قوله: (واليوم الآخر)

فيه عدة فوائد:

٣٠٤- فيه أن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان.

٣٠٥- فيه أن من أعظم أعمال القلوب الإيمان باليوم الآخر، فلابد أن يكون في القلب بمنزلة اليقين التام، الذي لا يساوره أدنى تردد، ولا شك ولا ارتياب؛ وإلا فكما قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا

(١) سورة الزمر الآية (٤١).
(٢) سورة آل عمران الآية (٣١).
(٣) سورة النحل الآيتان (٣٨ ـ ٣٩).

﴿عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[١].

٣٠٦- فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾[٢]، وذلك مأخوذ من قوله:(اليوم الآخر)، فهو يوم واحد يحاسب الله تعالى فيه جميع الخلائق.

٣٠٧- فيه عظمة الشرع، والحكمة البالغة فيه، حيث إن للإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة؛ تجعل العبد كثير الخير قليل الشر.

٣٠٨- فيه تذكير العباد بحقارة الدنيا، وأنها ظل زائل، وأن الآخرة هي الباقية كما قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٥].

٣٠٩- فيه وجوب الإيمان المجمل والمفصل بجميع مجريات وأحداث ذلك اليوم العظيم وتوابعه من حياة البرزخ والبعث والنشور من القبور.

٣١٠- فيه عظيم حكمة الله ـ تعالى ـ حيث إنه جعل يومًا يتمايز فيه العباد ويفصل بينهم فيه فيما كانوا فيه يختلفون كما قال تعالى:

---

(١) سورة التغابن الآية (٧).
(٢) سورة الأنعام الآية (٦٢).
(٣) العنكبوت: (٦٤).
(٤) سورة غافر الآيتان (٣٨ـ ٣٩).
(٥) سورة الأعلى الآية (١٧).

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾[1] وقوله، تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[3].

٣١١- فيه أن في ذلك اليوم تظهر آثار أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته كالعدل والرحمة والقدرة والعزة ونحو ذلك بل ويتجلى الرب بنفسه ـ جل جلاله ـ لعباده المؤمنين فيرونه عيانًا كما جاء إثبات ذلك في الكتاب العزيز، والسنة المطهرة الصحيحة.

٣١٢- فيه ربط العباد بالآخرة ليرتدع الظالم ويتصبر المظلوم.

❀❀❀

قوله: (وتؤمون بالقدر خيره وشره)

وفيه عدة فوائد:

٣١٣- فيه أن الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان.

٣١٤- فيه أن الخير والشر مخلوقان من مخلوقات الله ـ تعالى ـ يدخلان في مفعولاته تبارك وتعالى ولا يدخل الشر في أسماء الله ولا

(١) سورة القلم الآية (٣٥).
(٢) سورة ص الآيتان (٢٧ ـ ٢٨).
(٣) سورة الحج الآية (١٧).

صفاته لحديث «**والشر ليس إليك**»[١]

٣١٥- فيه إثبات قدرة الله تبارك وتعالى وأنه لا يمنع من قدر الله شيء كما قال، تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٢]، **فالقدر حقيقة هو قدرة الرحمن، والمعنى أي: لا يمنع من قدر الله شيء.** وقد قيل لأعرابي: بم عرفت ربك؟ فقال: بنقضه للعزائم، والمعنى إذن: أنا أريد، وأنت تريد، والله ـ تعالى ـ يفعل ما يريد.

٣١٦- فيه وجوب التسليم والصبر على قضاء الله وقدره وأن من رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط.

٣١٧- فيه إثبات علم الله السابق لخلق الخلائق كما جاء بذلك الحديث الصحيح، كما في «صحيح مسلم» عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء**».

٣١٨- فيه معنى قوله، تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾[٣].

٣١٩- فيه إثبات حكمة الله ـ تعالى ـ وأن كل شيء عنده بمقدار كما قال، تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[٤] أي أحسن المقدرين.

٣٢٠- فيه معنى قوله، تعالى: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾[٥] وقوله، تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث علي، رضي الله عنه.
(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٩).
(٣) سورة الصافات الآية (٩٦).
(٤) سورة المؤمنين الآية (١٤).
(٥) سورة آل عمران الآية (١٨٦).

وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾[1] وقوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ�ٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[2] فالابتلاء سنة قدرية كونية ماضية في الأولين والآخرين كما قال تعالى ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[3].

٣٢١- فيه أنه لا تلازم بين الإيمان بالقدر مع الاحتجاج به على فعل المعاصي، والمنكرات، وترك الطاعات؛ لأن هذا من الرجم بالغيب وإساءة الظن بالله، تبارك وتعالى.

٣٢٢- فيه أن الإيمان بالقضاء والقدر يورث العبد الرضا عن الله تعالى، وعن قضائه، وقدره فيصير الشر في حقه خيرًا والمحنة منحة من الله ـ جل وعلا ـ فسبحان من فتح بصائر بعض عباده ووفقهم لما يحبه ويرضاه فاللهم اجعلنا منهم برحمة يا كريم.

٣٢٣- فيه إثبات مشيئة الله النافذة في خلقه فإن القدر كما قال عنه الإمام أحمد رحمه الله: هو قدرة الرحمن أي: لا يمنع من قدر الله شيء، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا

(١) سورة محمد الآية (٣١).
(٢) سورة البقرة الآيات (١٥٥ ـ ١٥٧).
(٣) سورة العنكبوت الآية (١ ـ ٣).

﴿كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

٣٢٤- فيه أن الله تعالى يخلق ما لا يحب، ولكن لا يجري في ملكه إلا ما يشاء كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1].

٣٢٥- فيه معنى اسم الله المحيط كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[2].

٣٢٦- فيه أن القدر ومجرياته من أعظم الأدلة الدالة على وجود الرب، تبارك وتعالى.

٣٢٧- فيه معنى قوله عليه ـ الصلاة والسلام ـ في حديث ابن عباس، رضي الله عنهما قال: «كنتُ خَلْفَ النبيّ ﷺ يومًا فقال: **«يا غُلامُ! إني أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ: احْفَظِ الله، يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله، تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فاسأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله؛ وَاعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَإنِ اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيءٍ قد كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»** أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح؛ وفي رواية غير الترمذي زيادة **«احْفَظِ الله تَجِدْهُ أمامَكَ، تَعَرَّفْ إلى الله في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أنَّ ما أخْطأكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»**

---

(١) سورة الزمر الآية (٧).

(٢) سورة الأنفال الآية (٤٧).

وفي آخره «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسرًا**» قال النووي في الأذكار عقب هذا الحديث: هذا حديث عظيم الموقع.

٣٢٨- فيه أن من ثمرات الإيمان بالقدر ربط القلوب بالله جل وعلا والفزع إليه، وحسن الالتجاء، والتوكل عليه.

٣٢٩- فيه إظهار عظيم حكمة الله تبارك وتعالى في خلقه وقدره لمن تأمل واستبصر واعتبر، كما قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ**﴾[3].

❁❁❁

قوله: (قال: فأخبرني عن الإحسان)

فيه عدة فوائد:

---

(١) سورة الحج الآية (٤٦).

(٢) سورة العنكبوت الآية (٢٠).

(٣) سورة غافر الآية (٨٢).

٣٣٠- فيه أن الإحسان هو المرتبة الثالثة من مراتب هذا الدين العظيم.

٣٣١- فيه أن الإحسان هو الغاية العظمى، والرتبة العليا في دين الله، جل وعلا.

٣٣٢- فيه معنى قوله، تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[١].

٣٣٣- فيه التدرج من الأدنى إلى الأعلى، والسؤال عن الأهم فالأهم.

٣٣٤- فيه الرد على الخوارج والمعتزلة وأن الإيمان يزيد وينقص.

٣٣٥- فيه سعة دائرة الإسلام وضيق دائرة الإحسان فكل محسن مسلم مؤمن وليس كل مسلم ولا مؤمن محسنًا، فهي ثلاث دوائر أضيقها دائرة الإحسان ثم الإيمان ثم الإسلام.

٣٣٦- فيه تنوع مراتب الدين.

٣٣٧- فيه تفاضل مراتب الدين كما قال، تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[٣].

٣٣٨- فيه الحث على الإحسان والإتقان في الأمور كلها كما في «صحيح مسلم» عن أبي يعلى: شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء،**

---

(١) سورة الرحمن الآية (٦٠).

(٢) سورة الزمر الآية (٥٥).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٤٥).

فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فإحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته».

٣٣٩- فيه أن الإحسان المذكور في هذا الحديث المراد به المعنى الخاص، وأما معناه العام عند الإطلاق، فإنه يكون بمعنى الدين كله كما قال تعالى: ﴿**الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ**﴾.[1]

❁❁❁

قوله: (أن تعبد الله كأنك تراه)

فيه عدة فوائد:

٣٤٠- فيه إثبات العبودية الحقة لله، جل وعلا.

٣٤١- فيه استحضار عظمة الرب ـ جل جلاله ـ حال العبادة.

٣٤٢- فيه الحث على تدبر أسماء الله وصفاته مما يورث العبد حبًّا لله جل وعلا ومنافسة في امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

٣٤٣- فيه أن الله جل وعلا لا تراه في الدنيا العيون، وذلك من قوله «**كأنك تراه**» مع إثبات رؤيته ـ جل وعلا ـ في الدار الآخرة نسأل الله من فضله العظيم، خلافًا لأهل البدع الذين ينفون

(١) سورة لقمان الآيات (١ ـ ٥).

رؤية الله جل وعلا مطلقًا.

٣٤٤- فيه إثبات الرؤية القلبية التي تورث العبد حبًّا وأنسًا بالله جل جلاله واستكانة وانكسارًا بين يدي الله جل وعلا والتي تورث العبد حلاوة الإيمان.

٣٤٥- فيه الحث على المراقبة التامة لله جل وعلا، وهذه درجة المقربين.

٣٤٦- فيه معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**أوتيت مجامع الكلم واختصر لي ربي الكلام اختصارًا**».

٣٤٧- فيه الرد على الخوارج والمرجئة والمعتزلة، وذلك بإثبات زيادة الإيمان ونقصانه، وأن للعبد أحوالًا ومراتب يكون فيها أكمل من غيرها.

٣٤٨- فيه الحث على الترقي في درجات العبودية وطلب المقامات الإيمانية العلية.

٣٤٩- فيه أن للعبد مع الإحسان مقامين، فتارة في مقام الحب وتارة في مقام الخوف، وقد يتناوبان ويتداخلان بحسب حالة العبد وتألهه وتعبده لله الواحد القهار.

❁❁❁

قوله: (فإن لم تكن تراه، فإنه يراك)

فيه عدة فوائد:

٣٥٠- فيه إعطاء البديل المناسب حال تعذر الأمر الأعلى فينتقل إلى الأدنى.

٣٥١- فيه معنى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[١].

٣٥٢- فيه إثبات عبادة الله جل وعلا بالخوف مما يورث العبد الإحسان في أدائها.

٣٥٣- فيه أن الإحسان لا يكون إلا بالإخلاص والمتابعة.

٣٥٤- فيه معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٢].

٣٥٥- فيه أن الإحسان له ركن واحد على قول من قال: إن هذا ركن، والقول الآخر: إن له ركنين (الإخلاص والمتابعة)، وإن الوارد في الحديث هو تعريف الإحسان.

٣٥٦- فيه أنه لابد في كل عمل من الإحسان، ولكن هناك فرق بين الإحسان المطلق ـ فهذا هو الأمر الأعظم ـ وبين مطلق الإحسان، وهذا الذي لا يجوز أن ينفك عنه العابد بحال من الأحوال إذ أنه بهذا الاعتبار يكون مرادفًا للإخلاص والمتابعة وهذا القدر لابد من تحققه في كل عبادة؛ فمقل ومستكثر. والله أعلم.

٣٥٧- فيه أهمية الإخلاص والتذكير بقوله عليه الصلاة والسلام: **«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ**

(١) سورة غافر الآية (١٩).
(٢) سورة النحل الآية (١٢٨).

تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأُتِيَ بِهِ. فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىَ وَجْهِهِ حَتَّىَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلاّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىَ وَجْهِهِ. ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1].

❁❁❁

قوله: (قال: فأخبرني عن الساعة)

فيه عدة فوائد:

٣٥٨- فيه أن الساعة من أسماء يوم القيامة.

٣٥٩- فيه السؤال عن المغيبات وهذا خاص بالأنبياء والمرسلين فهم الذين يُطلعهم الله تعالى على ما يشاء من غيبه سبحانه كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾[2].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو من أفراد مسلم عن البخاري.
(٢) سورة الجن الآيات (٢٦ ـ ٢٨).

٣٦٠- فيه إثبات المعاد.

٣٦١- فيه معنى قوله تعالى ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[١].

٣٦٢- فيه معنى قوله تعالى ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[٢].

❀❀❀

قولـه:(ما المسئول عنها بأعلم من السائل!)

فيه عدة فوائد:

٣٦٣- فيه معنى قوله تعالى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[٣]، وقوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[٤]، وقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٥]. فالغيب المطلق لا يعلمه إلا الله تعالى، فلا يعلمه أحد سواه لا مَلَكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ

(١) سورة الأعراف الآية (١٨٧).
(٢) سورة الروم الآية (٥٥).
(٣) سورة النمل الآية (٦٥).
(٤) سورة البقرة الآية (٢٥٥).
(٥) سورة البقرة الآية (٢٨٢).
(٦) سورة الأعراف الآية (١٨٨).

﴿مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.[1]

٣٦٤- فيه التأدب في مدارسة العلم بين العلماء وطلبة العلم.

٣٦٥- فيه إلقاء السؤال للاختبار، ومعرفة ما عند الآخرين.

٣٦٦- فيه رد العلم إلى الأعلم.

٣٦٧- فيه الرد على الصوفية، والرافضة وأشباههم، الذين يعتقدون في الأولياء والصالحين والأئمة أنهم يعلمون الغيب المطلق فإذا كان هذا النبي ﷺ وهذا جبريل عليه السلام لا يعلمان الغيب، وأنه يخفى عليهما ما شاء الله من العلم فمن باب أولى أن لا يعلمه غيرهم.

٣٦٨- فيه الرد على الصوفية، والرافضة، وأشباههم الذين يؤلهون الأنبياء والأولياء والأئمة.

٣٦٩- فيه معنى قوله تعالى ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] وقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[3].

٣٧٠- فيه أن العبد إذا أفرغ وسعه في تحصيل المتاح من العلوم، ثم جَهِل بعضه أن هذا لا يقدح في علميته؛ إذ إن فوق كل ذي علم عليم.

٣٧١- فيه تواضع النبي ﷺ، وجبريل عليه السلام لله رب العالمين.

٣٧٢- فيه صدق الرسول ﷺ، إذ لم يتكلف علم ما لا يعلم، ففيه

(١) سورة الأنعام الآيتان (٥٨ ـ ٥٩).
(٢) سورة الأعراف الآية (٣٣).
(٣) سورة الإسراء الآية (٣٦).

معنى قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[١]، وقوله ﷺ: «**نهينا عن التكلف**».[٢]

٣٧٣- فيه إثبات حكمة الله تعالى في تغييب علم الساعة عن سائر خلقه؛ ليحصل الإيمان الاختياري وليبتلي العباد بذلك، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[٣].

٣٧٤- فيه مشروعية مدارسة العلم لترسيخه وتثبيته.

٣٧٥- فيه أن الجهل بالساعة ليس من الجهل المذموم؛ لأنه مما استأثر الله بعلمه

٣٧٦- فيه مدارسة العلم بين الأقران.

٣٧٧- فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٤].

٣٧٨- فيه إثبات بشرية النبي ﷺ، ومعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٥].

٣٧٩- فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٦] فليس كل شيء يستطيع العبد أن يدركه وأن يعلمه، فللعبد حدود، وللعقل حدود، وللإدراك حدود؛ فلا يستطيع المخلوق أن يتجاوزها

---

(١) سورة ص الآية (٨٦).
(٢) أخرجه البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٣) سورة المائدة الآية (١١٩).
(٤) سورة يوسف الآية (٧٦).
(٥) سورة الكهف الآية (١١٠).
(٦) سورة الإسراء الآية (٨٥).

بحال من الأحوال مهما كان.

❁❁❁

قوله:(قال: فأخبرني عن أماراتها)

فيه عدة فوائد:

٣٨٠- فيه معنى قولهم: ما لا يُدرك جلُّه لا يُترك كلُّه.

٣٨١- فيه رحمة الله بعباده حيث غيَّب عنهم الساعة ولكن أعلمهم بأماراتها.

٣٨٢- فيه أن من رحمة الله بعباده أن جعل هذه العلامات، لتدل على صدق الرسول، فكم من العباد آمنوا لما رأوا بعضها، وستأتي علامات لا ينفع معها إيمان وذلك قوله تعالى: ﴿**هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ**﴾[1]. وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:«**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**».

٣٨٣- فيه أن من كمال العلم معرفة علامات الساعة.

٣٨٤- فيه الحث على معرفة أشراط الساعة للحذر منها ومعرفة ما

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٥٨).

يناسب الحال من العمل الصالح والمخرج عند ظهور علاماتها، وتحديث الناس بذلك: العامة والخاصة.

٣٨٥- فيه إثبات تنوع علامات الساعة فمنها الكبرى ومنها الصغرى، ومنها القريب ومنها البعيد والكل ـ في الجملة ـ قريب.

٣٨٦- فيه أن أكثر هذه العلامات تكون قرب قيام الساعة.

قوله: (أن تلد الأمة ربَّتها)

فيه عدة فوائد:

٣٨٧- فيه أن هذا من باب ضرب المثل لا من باب الحصر، فقد جاءت النصوص الصحاح بعلامات كثيرة غير ما ذكر في هذا الحديث العظيم.

٣٨٨- فيه أن الإنسان إذا سئل عن أمر مطلق جاز إجابته بأي جزء من أفراده كبيرًا كان أو صغيرًا.

٣٨٩- فيه إثبات الرق في الإسلام.

٣٩٠- فيه جواز استعمال لفظ الرب إذا جاء مضافًا، كأن تقول: رب الدار ورب الدابة، وهنا قال: «**ربَّتها**» وهذا تقييد لما ورد من النهي في استعمال هذه اللفظة.

٣٩١- فيه أن للسيد أن يعتق من شاء من إمائه؛ لأن المعنى الثاني لهذه الجملة هو أن يعتق السيد بنت أمته التي ليست من صلبه، ثم يتزوجها؛ فتكون البنت سيدة لأمها.

٣٩٢- فيه مشروعية التسري بالإماء.

٣٩٣- فيه معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ

غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ».

٣٩٤- فيه تقلُّب الأحوال في آخر الزمان.

❁❁❁

قوله: (وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)

فيه عدة فوائد:

٣٩٥- فيه جواز المشي حافيًا، وقد جاء في جواز ذلك ما هو أصرح من هذا.

٣٩٦- فيه أن من علامات الساعة دخول البدو إلى الحاضرة أو تحضر البدو في بواديهم كما هو واقع اليوم، وهذا عام في جميع البوادي في سائر البلدان.

٣٩٧- فيه أن من علامات الساعة: كثرة المال وانتشار البنيان.

٣٩٨- فيه انشغال الناس بالدنيا وتشييدها مما يدل على الغفلة عن الدار الآخرة والعمل لها.

٣٩٩- فيه سرعة تبدل الأحوال والأوضاع قرب قيام الساعة، فهم بالأمس يرعون الشاء، واليوم يتطاولون في البنيان، وما خفي من التبدل والتغير كان أعظم.

٤٠٠- فيه أن بين يدي الساعة تقع المفاخرة بالبنيان، وهذا من معاني التطاول فيها، وهذا مذموم، ولهذا حذَّر منه ضمنًا.

٤٠١- فيه معنى قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[١].

٤٠٢- فيه ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من التواضع في البنيان، وأن هذا لم يضرهم في شيء بل زادهم حبًّا لله وتواضعًا له وعملًا على مرضاته سبحانه وتعالى.

٤٠٣- فيه معنى قوله ﷺ: **«والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم، الدنيا أن تفتح عليكم فتنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم؛ فتهلككم كما أهلكتهم»**.[٢]

٤٠٤- فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٣].

٤٠٥- فيه معنى قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[٤] وأن كثرة العطاء ليست دليلًا على محبة الله تعالى، كما أن قِلَّته ليست دليلًا على سخط الله بل ما هو إلا الابتلاء كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾[٥].

---

(١) متفق عليه من حديث عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه .
(٢) سورة الشعراء الآية (١٢٩،١٢٨) .
(٣) سورة طه الآية (١٣١) .
(٤) سورة المؤمنون الآية (٥٦،٥٥) .
(٥) سورة الفجر الآية (١٦،١٥) .

❀❀❀

قوله: (ثم انطلق)

فيه عدة فوائد:

٤٠٦- فيه أدب الانصراف بعد سماع الفتيا، أو مدارسة العلم.

٤٠٧- فيه عدم الإثقال على العالم بعد الفراغ من المسألة، وذلك بالمبادرة بالانصراف عنه؛ ليتفرغ إلى ما ينفعه والمسلمين.

٤٠٨- فيه معنى قوله تعالى: ﴿**لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[1]، فما هو إلا أن أدَّى ما أمر به حتى انطلق.

٤٠٩- فيه أمانة جبريل عليه السلام حيث أدى ما أُمِرَ به بلا زيادة ولا نقصان.

٤١٠- فيه معنى قوله تعالى: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾[2] ولهذا لم يستأذن عند الانصراف، أو لعله فعله ولم ينقل اكتفاء بالأمر المتعارف عليه عند الانصراف، والظاهر: أنه فعل؛ لأن الله تعالى ذكر عن الملائكة أنهم لما دخلوا على إبراهيم عليه السلام قالوا: سلامًا، ومقام نبينا عليه الصلاة والسلام أرفع، ولكن لعل الراوي اكتفى بظهور الأمر، وتعارفه ووضوحه عن نقله وبيانه،وعلى كلٍّ فإن الأليق بالمتحدث ولا سيما

---

(١) سورة التحريم الآية (٦) .

(٢) سورة مريم الآية (٦٤).

طالب العلم أن لا ينصرف من حلقة العلم حتى يستأذن. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

٤١١- فيه قوة حافظة أمير المؤمنين عمر وابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

٤١٢- فيه معنى قوله ﷺ:«**نضَّر الله امرأ سمع منَّا شيئًا فبلَّغه كما سمعه فرب مُبلَّغ أوعى من سامع**»[2].

٤١٣- فيه إثبات تشكل الملائكة في صورة بني آدم.

٤١٤- فيه إثبات قدرة الله تعالى على تغيير وتبديل الأشياء عن صفاتها من حال إلى حال، كما فعل سبحانه بالنار التي أشعلت لإبراهيم حيث حوَّلها من صفة الإحراق إلى أن تكون بردًا وسلامًا عليه، وكما فعل بالبحر حيث فلقه لموسى عليه السلام؛ فحوَّله من صفة الإغراق إلى أن يكون طريقًا يبسًا، وهنا حول جبريل الذي يسد بعظيم خلقته الأفق إلى صورة رجل من آحاد الناس، وكان كثيرًا ما يأتي في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه فسبحان الذي هو على كل شيء قدير

(١) سورة النور الآية (٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

٤١٥- فيه حرص الصحابة على تبليغ هذا الدين، وكل ما يجري حول النبي ﷺ بأدق عبارة وأوضحها.

٤١٦- فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾.[3]

قوله: (فلبثت مليًّا. ثم قال لي: يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم)

فيه عدة فوائد:

٤١٧- فيه هيبة النبي ﷺ في نفوس أصحابه حيث لم يجرؤ أحد على أن يسأله عن هذا السائل الغريب الذي تعجبوا من حاله وسؤاله حتى مكثوا ثلاثة أيام حتى ابتدأهم النبي ﷺ بالسؤال.

٤١٨- فيه منقبة لعمر رضي الله عنه، وفضيلة له حيث خصَّه النبي ﷺ بالسؤال.

٤١٩- فيه عظيم تواضع عمر، وسلامة صدره من العجب، والتكلف، حيث لم يزد عندما سأله النبي ﷺ عن هذا السائل

---

(١) سورة يس الآية (٨٢).

(٢) سورة الأنعام الآية (٩).

(٣) سورة الإسراء الآيتان (٩٤ ـ ٩٥).

على أن قال: الله ورسوله أعلم.

٤٢٠- فيه التعريف بأهل الفضل والعلم.

٤٢١- فيه أهمية التعرف على أهل العلم والفضل.

٤٢٢- فيه تخصيص بعض طلبة العلم بالعلم والسؤال.

٤٢٣- فيه أسلوب التشويق للعلم عن طريق إلقاء الأسئلة.

٤٢٤- فيه معنى قوله ﷺ: **«لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدَّثون؛ فإن يكن في أمتي أحدٌ، فإنَّه عمر»**[1]. ولهذا ـ والله أعلم ـ خصَّه النبي ﷺ بالسؤال؛ لعله أُلهِم ذلك فراسة منه.

٤٢٥- فيه مشروعية مدارسة العلم بين الفاضل والمفضول.

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

قولـه:(فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)

فيه عدة فوائد:

٤٢٦- فيه إثبات أسماء الملائكة بأعيانهم.

٤٢٧- فيه الحث على تعلم ومعرفة أسماء الملائكة، وأن هذا من تمام الإيمان بهم عليهم السلام.

٤٢٨- فيه جواز التلفظ بأسماء الملائكة دون الصلاة عليهم.

٤٢٩- فيه ما كان عليه جبريل عليه السلام من العلم العظيم، كيف لا؛ وهو أمين الوحي في السماء عليه السلام.

٤٣٠- فيه عناية الله تعالى بهذه الأمة المعلَّمة المرحومة.

٤٣١- فيه مشروعية إلقاء السؤال ممن يعرف الجواب لنفع وتعليم الآخرين، كما فعل جبريل عليه السلام هنا.

٤٣٢- فيه أن من قام بهذه المراتب الثلاث فقد قام بحقيقة الدين وتمثَّلت فيه حقيقة العبودية لله رب العالمين.

٤٣٣- فيه حرص جبريل عليه السلام على التأكد من أدائه الأمانة على الوجه الأكمل.

٤٣٤- فيه سلامة صدور الصحابة وإحسان ظنهم بالله ورسوله، وما

وقر في قلوبهم من التصديق العظيم للنبي ﷺ، وما كانوا عليه من اليقين التام بقدرة الله جل جلاله بتحويله الأشياء من حال إلى حال، متى شاء، كيف شاء ـ تبارك وتعالى ـ حيث لم يستشكل أحد منهم ولم يستغرب من إتيان جبريل في صورة رجل بل بادروا بالتسليم، والتصديق التام فرضي الله عنهم وأرضاهم، فما أعظمه من جيل!

٤٣٥- فيه أن هناك من العلوم ما يلزم تكرارها ومدارستها بين الحين والآخر، والتأكد من سلامتها في النفوس حتى لا تنسى؛ فتندرس فتقسو القلوب، وأعظم تلك العلوم وأركان هذا الدين ومبانيه العظام علم التوحيد، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

٤٣٦- فيه معنى قول السلف: (اجلس بنا نؤمن ساعة).

٤٣٧- فيه أن الدين له ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان.

---

(١) سورة الحديد الآية (١٦ ـ ١٧).

٤٣٨- فيه معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾.(١)

٤٣٩- تفضيل الرجال على النساء؛ حيث إنه أتى في صورة رجل، وذلك في الجملة لا من جهة الأفراد، فكم من امرأة تَزِنُ آلاف الرجال.

❁❁❁

(١) هذا الأثر أخرجه البخاري معلَّقًا في «صحيحه»، وقد بيَّن الحافظ في «الفتح» أن الإمام أحمد وصله في «مسنده»، وقد أخرجه أحمد أيضًا عن أنس بن مالك قال: كان عبدالله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: تعال نؤمن بربنا ساعة .

الخاتمة

معاشر المسلمين والمسلمات!

إن الليل لابد أن يعقبه النهار، وإن مع العسر يسرًا، وإن الجولة القادمة هي جولة الإسلام الممكنة في الأرض بإذن الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۞ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾

الأنبياء [١٠٥ ـ ١٠٦]

ولكن لابد لهذا الدين من رجال صادقين، ونساء صادقات؛ يحملون هَمَّ هذا الدين العظيم، ويرفعون شعاراته، ويطبقون تعاليمه على عز وشرف لا على استحياء وخجل وخوف وضعف وخور.

ولكن هذا لن يتحقق حتى نصدق الله تعالى فيما عاهدناه عليه من الصدق واليقين والإخلاص والمتابعة للنبي ﷺ ورفع الرأس شامخًا بذلك والعمل بجد لنصرة هذا الدين.

وما أحسن ما قال الشاعر:

الفجر الباسم قادم من قلب الليل الجاثم
وربيع الأمة آت من بعد شتاء قاتم
بشباب صلوا الفجر برجال باعوا العمرا
بشيوخ كانوا شعلا بالليل تشع الفكرا
ببنات طبن صفاء عطرا طهرا وحياء
بنساء عشن حياة لله وكن ضياء
بصغار عرفوا الله بالفطرة لا بسواها
وهم البشرى للدنيا وغدًا يمحون أساها
بكتاب ظل دليلا للأمة جيلا جيلا
من حيرتها يهديها ويعيد المجد أصيلا

فالله الله في بذل الجهد وإفراغ الوسع؛ لنصرة دين الله ـ تبارك وتعالى ـ وأبشروا وأملوا كل خير؛ فإن إرهاصات النصر قد لاحت في الأفق القريب بإذن الله العزيز الحميد، فاعملوا ﴿فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمؤْمِنُونَ﴾ التوبة [١٠٥].

تَهُون الحياةُ وكلٌّ يَهُون ولكنَّ إسْلامَنا لا يَهُون

اللهم يا عزيز يا حميد يا جبار السموات والأرض! عليك بأعداء دينك أجمعين!

اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين! وأرنا بهم ما تقر به عيون عبادك الموحدين! واجعلنا اللهم من أنصار دينك القويم وصراطك المستقيم! وقر عيوننا أجمعين بنصر مؤزرٍ للإسلام والمسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين!

واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولأزواجنا وأبنائنا وإخواننا ومشائخنا وأحبابنا برحمتك يا أرحم الراحمين ويا خير الغافرين! آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم الفراغ منه في السابع من شهر شوال لعام ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرين للهجرة النبوية المباركة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم

وكتبه
أبو عبد الله
صادق بن عبد الله
البريد الإلكتروني asa ٢٦٦٣@hotmail.com

و الله ولي التوفيق

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
نص حديث جبريل المشهور	٧
الفوائد المستنبطة من هذا الحديث العظيم.....	٩
الفوائد المستنبطة من قوله: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ.....	١٤
الفوائد المستنبطة من قوله: إذ طلع علينا رجل.....	١٦
الفوائد المستنبطة من قوله: شديد بياض الثياب.....	١٧
الفوائد المستنبطة من قوله: شديد سواد الشعر.....	١٩
الفوائد المستنبطة من قوله: لا يُرى عليه أثر السفر.....	٢٠
الفوائد المستنبطة من قوله: ولا يعرفه منا أحد.....	٢١
الفوائد المستنبطة من قوله: فجلس إلى النبي ﷺ.....	٢٢
الفوائد المستنبطة من قوله: فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه.....	٢٣
الفوائد المستنبطة من قوله: فقال: يا محمد.....	٢٤
الفوائد المستنبطة من قوله: قال: أخبرني.....	٢٥
الفوائد المستنبطة من قوله: عن الإسلام.....	٢٥
الفوائد المستنبطة من قوله: فقال رسول الله :"الإسلام أن.....	٢٦
الفوائد المستنبطة من قوله: أن تشهد أن لا إله إلا الله.....	٢٧
الفوائد المستنبطة من قوله: وأن محمدًا رسول الله.....	٣٠
الفوائد المستنبطة من قوله: وتقيم الصلاة.....	٣٤
الفوائد المستنبطة من قوله: وتؤتي الزكاة.....	٣٧
الفوائد المستنبطة من قوله: وتصوم رمضان.....	٤٠
الفوائد المستنبطة من قوله: وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا...	٤٣

الفوائد المستنبطة من قوله: قال: صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه ٤٦
الفوائد المستنبطة من قوله: قال: أخبرني عن الإيمان..... ٤٩
الفوائد المستنبطة من قوله: أن تؤمن بالله..... ٥٠
الفوائد المستنبطة من قوله: وملائكته..... ٥٢
الفوائد المستنبطة من قوله: وكتبه..... ٥٤
الفوائد المستنبطة من قوله: ورسله..... ٥٩
الفوائد المستنبطة من قوله: واليوم الآخر..... ٦٥
الفوائد المستنبطة من قوله: وبالقدر خيره وشره..... ٦٧
الفوائد المستنبطة من قوله: فأخبرني عن الإحسان..... ٧١
الفوائد المستنبطة من قوله: أن تعبد الله كأنك تراه..... ٧٣
الفوائد المستنبطة من قوله: فإن لم تكن تراه فإنه يراك..... ٧٤
الفوائد المستنبطة من قوله: قال: أخبرني عن الساعة..... ٧٦
الفوائد المستنبطة من قوله: ما المسئول عنها بأعلم من السائل... ٧٦
الفوائد المستنبطة من قوله: فأخبرني عن أماراتها..... ٧٩
الفوائد المستنبطة من قوله: أن تلد الأمة ربتها..... ٨٠
الفوائد المستنبطة من قوله: وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطالون في البنيان ٨١
الفوائد المستنبطة من قوله: ثم انطلق ٨٣
الفوائد المستنبطة من قوله: فلبثت مليًّا ثم قال لي: يا عمر! أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم..... ٨٦
الفوائد المستنبطة من قوله: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.... ٨٧
الخاتمة ٩٠
فهرست الموضوعات ٩٣

تنفيذ طباعي: القسطاوي
جوال: ٠٠٢٠١٠١٩٩٩٥٥٥

قائمة كتب المؤلف

صدر للمؤلف :

١- التوسل المشروع وما يضاده.
٢- الاستنباطات البهية من الأدلة الشرعية.
٣- الدُّرَرُ والزُّهُور من حديث جبريل المشهور (أكثر من ٤٠٠ فائدة).
٤- المحبة الحقيقية للأزواج والذرية.
٥- الداء العضال.
٦- القول المبين في أخطاء بعض الحجاج والمعتمرين.
٧- يا أمة الإسلام الاستعلاء بالإيمان.
٨- رسائل رمضان إلى أمة القرآن.
٩- الإنسان والأمانة الكبرى.
١٠- المفاهيم والحقائق الغائبة.
١١- الجامع الثمين في أخطاء المصلين والأئمة والمؤذنين.
١٢- الكيفيات المتعددات لصفات الوضوء والتيمم وغسل الجنابة والصلاة.
١٣- الهوى سر الهوان.

كتب ستصدر قريبا إن شاء الله تعالى :

١- الحقوق العَلِيَّة لخير البرية ﷺ .
٢- الإجماعات السنية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٣- إسعاف السَّؤُول في شرح ثلاثة الأصول.
٤- الطائفة البرهانية في ميزان الإسلام .
٥- الأمراض الشائعة .
٦- الكيفيات المتعددات لصفات الوضوء وغسل الجنابة والصلاة.
٧- فساد التَّصوُّر.
٨- المخرج من الفتن .

كتب تحت الإعداد :

١- تفسير جزئي عَمَّ وتبارك .
٢- شرح العقيدة الواسطية .
٣- شرح علل النسائي .
٤- ما ضَعُفَ من الأحاديث والآثار في سيرة النبي المختار ﷺ.
٥- الكلمات الرَّضِيَّة في الخطب المِنبَرِيَّة .
٦- ما خالف الدليل من أخبار بني إسرائيل .
٧- الصراط المستقيم.
٨- الطريق إلى السعادة.
٩- إنهم فتية آمنوا بربهم.
١٠- موزع الحسنات.